قصص

القطط السمان

سليم عوض عيشان

تنويه :

النص أدبي بحت .. ولا يقصد به الكاتب أي بعد سياسي ... اللهم إلا إذا رأى القارئ غير ذلك

القطط السمان

رزقه الله بزوجة جميلة ولود ملأت له البيت بدستة من الإناث والذكور ، ورزقه الله بقطة لطيفة ملأت له البيت بعدة دستات من إناث وذكور القطط .
من بين دستة الأطفال مال قلبه وبشكل غريب نحو طفلته " بسمة " والتي كان يحلو له أن يدللها بأن يناديه بـ " سومة " تماماً كاللقب الذي يطلقه على قطته الأثيرة .
كان يؤثر " سومة " الابنة على بقية الأطفال بعطفه وحنانه وهداياه ، مما كان يثير مشاعر وحنق أطفاله الآخرين دون أن يدري .. فترى عيونهم جاحظة ونفوسهم حائرة وقلوبهم مضطربة ، تتنازعهم شتى المشاعر والتساؤلات ، ولكنهم يلتزمون الصمت على مضض ، دون أن يحس الأب بهذا أو ذاك ، بل لعله يحس ولكنه لا يأبه ! وفي كثير من الأحيان كان يطارد أطفاله بعصاه الغليظة ليطردهم من حول طفلته المحببة خشية استيلائهم على أشيائها وهداياها .
لقد صب جل اهتمامه ومعظم وقته للعناية بقطته المدللة ، وتقديم شتى صنوف الطعام لها ، يطعمها بيده ، بينما يمسح على سائر جسدها بيده الأخرى ، فتموء القطة بدلال وتهز ذيلها بسعادة للطعام الذي يقدمه لها والحنان الذي يغدقه عليها .
كان هذا وذاك يحدث على مرأىً من القطط الأخرى التي كانت تحيط بالمكان من كل جانب ، تنظر بغرابة وتنتظر ببلاهة أن يقدم لها الرجل شيئاً من ذلك الطعام الشهيّ الوفير الذي كان يقدمه لقطته المدللة ، والتي كانت تأتي عليه عن آخره ، فلا يغادر الرجل المكان إلا بعد أن يتأكد بأنها قد التهمت الطعام برمته ، فإذا ما غادر ؛ اندفعت القطط الأخرى تموء وتتشمم المكان علها تعثر على بقية باقية ؛ أو قطعة شاردة من طعام قد يكون أفلت من بين أنياب ومخالب القطة المدللة .. فتدور وتدور .. تموء وتموء .. تتشمم وتتشمم .. تبحث وتبحث بلا جدوى ، فلا يسعها والأمر كذلك سوى اللجوء إلى لعق الأرض والأواني ؛ تلعق ما تبقى عليها من آثار طعام عالق بها ، تقلب الأواني عساها تجد تحتها شيئاً من الطعام قد تسرب ؛ أو قليلاً من الغذاء قد تهرب ، فلا تجد من هذا أو ذاك شيئاً .. فلا يسعها والحال كذلك سوى الانسحاب من المكان هادرة مزمجرة ، تهز أذيالها هزاً عنيفاً بحركات عصبية متتالية ، تترجم ما بها من غضب وصخب .. تنظر ناحية القطة المدللة بعيون الغضب والحقد ، فلا يسع القطة المدللة سوى الانسحاب من المكان واللجوء إلى مكان قصيّ .. تلعق بلسانها حول فمها وكأنها تقصد بهذه الحركة أن تغيظ القطط الأخرى .. ثم لا تلبث أن تتمطى .. تتثاءب .. وتغفو ..
لم يعجب الحال صاحبنا خاصة وأنه فاجأ القطط الأخرى أكثر من مرة وهي تحاول

العثور على أشياء من بقايا طعام القطة المدللة، ولم يرقه أن يرى القطط تصول وتجول في المكان بحرية مطلقة ؛ خاصة وأنه لاحظ بأن قطته المدللة قد أصبحت سمينة بشكل ملفت للنظر مما جعلها بطيئة الحركة . فقرر أن يقوم ببناء كوخ لقطته وأن يحيطه بسياج من الشباك الحديدية المتينة ؛ بحيث لا يدع للقطط الأخرى أي مجال للاقتراب من القطة وإزعاجها أو منازعتها بقايا الطعام .

قام بالإشراف بنفسه على بناء الكوخ الأنيق ، ولم يلبث أن أحاطه بالسور المرتفع من الشبك الحديدي المتين ، وقام بعمل باب وضع له قفلاً ضخماً احتفظ بمفتاحه الوحيد في جيبه ، فكان يأتي بالطعام المميز لقطته في مواعيدها المحددة التي ألفتها ، فيولج المفتاح بالقفل ثم يدلف السور ويقفل الباب ، يتقدم من قطته يناديها عدة مرات بدلال ، فلا تلبث القطة أن تدنو منه بتيه ودلال وقد عرفت سبب حضوره – وليس لحضوره من سبب سواه – تموء .. تهز ذيلها .. تتمسح به قليلاً فيداعبها .. يدللها .. فتعرض وتتمنع .. وكأنها تريد أن تفهمه بأنها ليست بحاجة للتدليل والمداعبة بقدر ما هي بحاجة للطعام الذي يحمله، فيجلس القرفصاء إلى جانبها .. يدني الطعام منها ، يمد يده بما لذ وطاب من الطعام المفضل لديها .. تتناول ما قدمه لها بسرعة وتطلب المزيد والمزيد .. حتى تأتي على ما أتي به ، بينما القطط الزائرة قد تجمعت خارج السور تنظر نحوهما بعيون تتقد شرراً ، وقد حال السور والرجل بينها وبين الطعام .. فتموء وتزمجر .. تدور وتقف .. تحاول الوقوف على أرجلها الخلفية مستندة على السور محاولة التسلق .. تحاول القفز من فوق السور المرتفع واقتحام المكان ، فيلاحظها الرجل ، ولا يلبث أن يندفع نحوها بجنون .. يحاول طردها بالصراخ المدوي .. فتبتعد عن المكان قليلاً .. ثم لا تلبث أن تعود بعد هدوء الرجل الذي يعود لملاطفة قطته ومتابعة تدليلها وإطعامها .. لا يلبث أن يتنبه لزمجرة القطط المحيطة بالمكان .. تفزعه عيونها الجاحظة المحدقة به من كل ناحية، فيخيل له بأنها آلاف العيون .. ويهيأ له بأنها قد أصبحت عيوناً آدمية أقرب ما تكون إلى عيون أطفاله الجاحظة المحيطين به بغيظ عندما كان يداعب صغيرته الأثيرة لديه " سومة " .. وعندما كان يهبها الهدايا والطعام الخاص .

في ذلك اليوم .. كعادته ودأبه .. كان يأتي بالطعام الشهيّ ويقدمه لقطته المدللة مفرطة السمنة ؛ على مرأىً ومسمعٍ من بقية القطط الأخرى ، أخذ يطعمها ويدللها كالعادة ؛ تناهى إلى مسامعه نداء أهل المنزل المتكرر والملح في استدعائه لأمر هام وعاجل .. نهض من مكانه ليلبي النداء مسرعاً .. تاركاً لقطته المدللة أمر التهام الطعام بالطريقة التي تريدها وتهواها ..

ساعة أو أقل قليلاً كان قد أنهى ما استدعي من أجله في المنزل .. جلس على الأريكة يرتاح قليلاً ؛ مشعلاً لفافته الأنيقة متلذذاً بسحب دخانها الكثيف المتطاير في أرجاء

الحجرة ، لم يلبث أن تمطى .. تثاءب .. وكاد أن يغفو ؛ لولا أن باغته خاطر مفاجئ .. نهض على أثره منتفضاً كمن لسعته أفعى .. فألقى بلفافته المشتعلة بعيداً .. وهرول من المكان .

لقد تذكر بأنه لم يقفل باب السور المحيط بكوخ القطة ، واعتقد جازماً بأن القطط الأخرى

لا بد وأن تكون قد تسللت إلى الداخل مقتحمة المكان مستولية على الطعام الخاص بقطته .

تعجل الخطى محاولاً الوصول إلى المكان قبل التهام القطط الزائرة للطعام .. وما كاد أن يصل إلى المكان .. حتى كان يرى سرب القطط وهي تغادر المكان مسرعة تلعق أفواهها بألسنتها .. فأدرك بأنها لا بد وأن تكون قد أتت على الطعام عن آخره .. فراح يطاردها ويطردها من المكان هادراً مزمجراً يحمل عصاه الغليظة يعاجلها بالضربات المتلاحقة .. فتفلت منه بأعجوبة .

وقف قليلاً يسترد أنفاسه المتقطعة ويمسح عرقه المتصبب بغزارة .

دلف إلى المكان .. نظر إلى أواني الطعام ؛ فرآها نظيفة كالمرآة .. فلم تبق القطط أثراً للطعام على الإطلاق .. بحث بعينيه عن قطته المدللة " سومة " فلم يعثر عليها .. قام بالنداء بصوت متقطع مضطرب .. فلم يجبه أحد .. راح يدور ويدور في المكان وهو يوالي النداء دون جدوى ..

وصل ناحية الكوخ الأنيق .. ألقى بنظرة سريعة إلى الداخل ... سر لأنه رأى " سومة " ترقد مطمئنة داخل الكوخ .. ولكن ابتسامة السعادة والسرور تلك لم تدم طويلاً على محياه ؛ إذ سرعان ما تلاشت وحل محلها الألم القاتل والحزن المميت .. لأنه عندما أعاد النظر مرة أخرى ناحية القطة المدللة .. تأكد تماماً بأنها قد أصبحت أشلاءً مبعثرة.

(وردة)

مقدمة لا بد منها :
لا تظنوا أيها السادة بأن أحداث هذا العمل هي أحداُث مفتعلة .. أو أنها محض خيال ، بل هي من واقع الحياة .. والتي تفوق الخيال .. ولا فضل للكاتب على النص سوى الصياغة الأدبية .

إهداء متواضع

لكل وردة .. في كل مكان .

(وردة)

ثارت الثائرة ، قامت القيامة ، زمجر الجميع وهدروا ، صخبوا وعربدوا ، صاحوا بصوت واحد :
" القتل .. ليس لها سوى القتل " .
انبرى الأخ الأصغر مزمجراً وسط كومة من الحجارة :
- ليس لها إلا الرجم .. فللزانية حكم الرجم حتى الموت .
هدر الأخ الأوسط وهو يهز السلاح الأبيض بين يديه ..
- القتل .. ليس لها إلا القتل .. بخنجري هذا .
هدر الأخ الأكبر وهو يضغط على أسنانه بعصبية .. ويقبض بقوة وعصبية على سلاحه الأتوماتيكي :
- ليس هذا ولا ذاك .. فأنا سأكفيكم مؤونة غسل العار بسلاحي هذا .. بدفعة رصاص من

هذا الرشاش .
دارت الفتاة من حولهم ببلاهة .. وبحركات ساذجة .. راحت تضحك .. تقهقه .. تتمايل .. ترقص ؟. تغني .. تلاطف هذا ، تمازح ذاك ، تداعب الثالث .. ظنت بأنهم يلعبون لعبة جديدة ؟! .. راحت تصفق بيديها ، تغني ، ترقص ، نهرها الأصغر بغلظة ، لطمها الأوسط بقسوة ، وصفعها الأكبر بقوة ، ظنت أن هذه الحركات هي أصول اللعبة الجديدة ؟؟!! ضحكت من جديد ، قهقهت حتى استلقت على قفاها .. نهضت .. تمايلت .. وراحت ترقص من جديد .
جذبت الأصغر من " بنطاله " ، .. الأوسط من ثوبه .. والأكبر من ياقته الممزقة ، حاولت أن تجعلهم يشاركونها الرقص .. أن يشاركوها اللعبة الجديدة .. أن يشاركوها الغناء والتصفيق .
الفتاة .. اسمها " وردة " .. وهي كالوردة فعلاً .. جمالاً .. رقة .. ورعة .. جاذبية .. حسناً ، ويبدو بأن كل صفات الجمال قد تمثلت فيها .
" وردة " .. لم تكن قد أكملت ربيعها السادس عشر بعد .
" وردة " .. لم تكن تعرف القراءة ولا الكتابة ، فهي لم تذهب للمدرسة حتى وهي طفلة صغيرة .
" وردة " .. هي الأنثى الوحيدة من بين أربعة ذكور .
" وردة " .. كانت مضرب المثل في الحيّ لجمالها الرائع ، وحسنها البديع .
" وردة " كانت ذات جمال فريد آسر .. خلاب .. جذاب ..
" وردة " .. لم تكن تعي ما يدور حولها .. لم تكن تحادث أحداً ..
كانت تكتفي بما يشبه الغناء .. ما يشبه الرقص .. وما يشبه الحديث .
" وردة " .. كانت " بكماء " .. فلقد أصيبت بمرض ما وهي طفلة صغيرة .. لعلها الحمى الشوكية .. أو لعلها التهاب السحايا .
نتائج المرض كانت بسيطة بالنسبة لذويها فهم بسطاء بطبيعتهم .. وبسيطة بالنسبة لها .. لأنها لم تكن تدرك وقتها حجم الكارثة .. .
" وردة " .. أصيبت بالصمم .. فأصبحت بكماء ... بكماء وصماء .. ويبدو بأن شيئاً ما قد أصاب عقلها .. ولحسن الحظ أنها لم تصبح عمياء ..
" وردة " .. رغم ذلك كله كانت جميلة .. رائعة الجمال .. بديعة الحسن والصورة .
أبواها كانا يعملان أجيرين في أحد حقول " الباشا " .. صاحب الحقول الشاسعة والبيارات الواسعة .
الأبناء الثلاثة أيضاً كانوا يعملون كـ " خدم " في بيارات " الباشا " .. هم لم يتعلموا .. لم يذهبوا للمدارس حتى وهم أطفال صغار ، رغم أنهم لم يصابوا بالصمم ولم يصابوا

بالبكم ، ولكنهم اختاروا الطريق الأسهل .. الأقصر .
الابن الرابع .. الأكبر ، اختار ركوب الصعب .. اختار الطريق الأصعب .. الأطول .. اختار طريق العلم ، فكان العاقل الوحيد بينهم ، كان الحكيم الوحيد بينهم ، وكان المتعلم الوحيد أيضاً .
أنهى دراسته في القانون حديثاً ، التحق بمكتب أحد المحامين المشهورين لإكمال فترة التدريب العملي والتي سوف تؤهله للعمل كمحامٍ مستقل لاحقاً ، أطلق عليه الجميع لقب " الأستاذ " .. " العاقل " .. " الحكيم " .
" وردة " كانت تقضي الوقت وحيدة في المنزل الخلوي الموحش ، بعد أن يخرج الجميع لأعمالهم . " وردة " تقضي الوقت في البيت بالرقص والغناء والضحك .
ثارت الثائرة ، قامت القيامة ، زمجر الجميع مهددين " وردة " بالقتل ، وها هو شاهد الجريمة قد تجسد أمام الجميع كحقيقة واقعة ، البطن المنتفخ ؟! .. الأمر كان مجرد شك في البداية ، لم يلبث أن أصبح يقيناً .. " وردة " حامل ؟! .. وقد تأكد الجميع من ذلك .. فالبطن ينتفخ كل يوم بشكل أكبر مما قبل .. الأم بدورها فحصت " وردة " .. وتأكدت بأنها حامل فعلاً .. وأكدت للجميع ذلك .
" القابلة القانونية " أكدت ذلك للجميع أيضاً .. ونصحت بعمل التحاليل اللازمة في المختبر الطبي القريب ..
المختبر الطبي أكد ذلك .. وبشهادة موثقة ومعتمدة بذلك .. كان صاحب المختبر يبتسم ابتسامة عريضة وهو يقدم الشهادة الموثقة والمؤكدة للحمل لذوي الفتاة ، ويقدم لهم كلمات التهنئة بالحمل ؟؟!! .. لم يكن يدري بأنه كان يقدم لهم شهادة الوفاة .. ودليل الإدانة الدامغ .. وصك الإعدام .
اجتمعوا حول الفريسة .. تحلقوا حولها من كل جانب .. أحدهم يحمل حجراً كبيراً .. الآخر يحمل خنجراً مخيفاً .. ويحمل الثالث سلاحه الأتوماتيكي الرهيب . الأم والأب اكتفيا بنظرات الغضب والحقد والزمجرة وسيل اللعنات .. و " وردة " تقف بين الجميع وهي تبتسم .. تضحك .. تغني .. وترقص ؟! .
راحوا يتشاورون .. ويتداولون في الأمر .. يحاولون اختيار نوع الميتة لـ " وردة " ؟! أقبل الأستاذ .. العاقل .. الحكيم .. حاول تهدئة الجميع .. على الأقل لكي يعرفوا أمراً غاب عنهم جميعاً .. حتى يعرفوا من هو الفاعل .. ؟؟ من الذي اقترف الفعلة الشنعاء .. مع الطفلة البلهاء ..
هدأ الجميع قليلاً .. ورغم ذلك ظلوا يزمجرون .. يهدرون .. يهددون ويتوعدون .
استدرج الأستاذ .. العاقل .. الحكيم .. استدرج " وردة " لكي يعرف منها شخصية الفاعل الآثم .. واستعمل كل ما لديه من علم وتعلم ، وبعض المعرفة بمبادئ لغة الإشارة التي

يستعملها الصم والبكم ..وما لديه من تجارب سابقة في التعامل مع شقيقته .. في النهاية .. فهم منها وبصعوبة بأن الفاعل هو .. ابن عمها ؟؟!! .. ابن عمهم .. فهم منها بأنه كان يمارس معها فعلته الشنيعة مستغلاً فرصة وجودها في البيت وحيدة لاقتراف جريمته الشنعاء ولعدة مرات .

وقع الأمر على الجميع وقوع الصاعقة ، زاد الصخب والضجيج .. ارتفع الهدير والزفير .. قاموا على الفور باستدعاء ابن العم .. أوهمه الحكيم بأنهم يريدونه لأمر هام .. لم يتطرق لأمر " وردة " .. حضر ابن العم سريعاً .. التف الجميع من حوله هادرين مزمجرين .. وعيونهم تقدح شرراً .. أحدهم يحمل حجراً .. الآخر يحمل خنجراً .. والثالث يحمل سلاحه الأتوماتيكي الفتاك ...

الأستاذ .. العاقل .. الحكيم .. تدخل في الأمر .. منع الجميع من الاقتراب من ابن عمهم .. أمر الجميع بالابتعاد عن الشاب .. كان يريد أن ينهي الموقف بهدوء .. بدون صخب أو ضوضاء .. فهم في غنىً عن الفضائح .. امتثلوا له على مضض .. أمر بإحضار " وردة " .. احضروها على الفور .. تحدث معها بلغة الإشارة .. على مرأىً ومشهدٍ من ابن العم .. أكدت له بأن الشاب .. ابن العم .. هو الفاعل .. حاول الشاب نفي التهمة عن نفسه .. ضيق عليه الخناق .. أخيراً .. اعترف الشاب بالواقعة .. اندفع الشباب نحوه هادرين مزمجرين يحاولون الفتك به .. منعهم الأستاذ .. العاقل .. الحكيم .. .

قرر الحكيم أن يلجأ إلى العقل .. إلى المنطق .. راح يحاول إقناع ابن العم بضرورة تصحيح الخطأ الحاصل .. بعد أن ثبت عليه الجرم المشهود .. راح يستعمل كل وسائل الإقناع ليقنع ابن العم بضرورة تعديل المسار . وتصويب الخطأ .. أفهمه بأن الحل الأمثل للمعضلة هو أن يتزوج من الفتاة .. " وردة " لأنه من ارتكب الخطأ .. وهو من يستطيع التصويب والتصحيح .. خاصة وأنها ابنة عمه .. من دمه ولحمه .. وعرض عليه أن لا يقوم بدفع أي مبلغ مهراً للفتاة .. وأن يتكفل العاقل والعائلة بالأمر .. وكل المصاريف .. وعلى نفقتهم الخاصة .

وافق ابن العم على الاقتراح .. وعد الجميع بالحضور مساء اليوم التالي ، برفقة أبيه وذويه لطلب يد " وردة " بشكل رسمي للزواج منها ، أقسم بأغلظ الأيمان بأنه سوف يفعل ذلك غداً بعد أن أظهر الندم الشديد على فعلته .. وبعد أن أيد القول بدموع منهمرة كالمطر .

في مساء الغد ، لم يأت الشاب .. بحث الجميع في الأمر ، اكتشفوا بان الفاعل قد فر من المدينة في الليلة الماضية .. وفر من المنطقة بالكامل إلى منطقة بعيدة جداً يصعب الوصول إليها .. وتركهم يتخبطون ويقاسون نتائج ما اقترف من إثم .

جن جنون الجميع .. اندفع حامل الحجر نحو " وردة " .. يسابقه حامل الخنجر ..

ويسابقهم جميعاً حامل السلاح الأتوماتيكي .. يريدون الفتك بها .. وغسل العار الذي لحق بهم جميعاً .
سارع الأستاذ .. العاقل .. الحكيم .. وراح يمنع الجميع من تحقيق مأربهم .. اندفع نحو " وردة " .. راح يحميها بجسده .. يحول بينهم وبين الوصول إليها .. استطاع بالكاد السيطرة على الموقف ، أبعدهم عنها بعد عناء شديد .. احتضن " وردة " إلى صدره .. إلى قلبه .. راح يبكي بحرقة .. بلل وجهه ووجهها بالدموع .. " وردة " .. بدورها .. كانت تغني .. ترقص .. تصفق .. للعبة الجديدة ؟؟!! .
أبعدهم " الحكيم " عنها .. أمسك بيدها .. بعد أن أبعد عنها الخطر ، خرجا سوية من المنزل ، رافقها حتى خرجا من الحيّ ..
قبل مغادرة الحيّ .. كان يعرج على محلات البقالة .. الحلويات .. المكسرات .. الفواكه .. يشتري لها ما طلبت وما لم تطلب .. يواسيها .. يهدهدها .. يطعمها بيده .. يربت على رأسها ووجهها بحنان بالغ .. فتأكل " وردة " كل ما يقدمه لها وهي تغني .. ترقص .. وتنهال عليه بالقبلات المتتالية .

في الصباح الباكر ، كانت " راعية الأغنام " تقود الشياه والأغنام إلى المكان الخلوي المقفر .. لتبدأ من هناك رحلة يوم طويل من الشقاء والعناء في رعي الغنم .
تنبهت على أصوات مجموعة من الكلاب الضالة ، وهي تتصارع فيما بينها بقسوة وضراوة .. تتحلق حول فريستها وتنهشها بوحشية .. .
دققت " راعية الأغنام " النظر إلى الفريسة .. بهتت .. جحظت .. صعقت .. لم تكن الفريسة سوى جثة لفتاة بارعة الجمال مقطعة الأوصال ؟؟؟!!! .

((عندما تتلاشى النعال))

مهداة بتواضع
إلى " عمالقة السجون "
إلى أبطال " حرب الأمعاء الخاوية "
إلى كل الأسرى في سجون الاحتلال في كل مكان ..
(الكاتب)

((عندما تتلاشى النعال))

النعال الضخمة تنهال على وجهي .. على صدري ، بغيظ .. بحقد .. بغل .. بجبروت. أناتي المكتومة تزيد النعال ضراوة ، ينبثق الدم من وجهي من فمي .. من أنفي .. من عينيّ، قررت منذ البداية ألا أصرخ ، ألا أستغيث ، ألا أستعطف ، ألا أنطق0
ركلات النعال تزداد قوة ، تزداد عدداً ، سرعة ، لن أصرخ ، لن أستغيث ، لن أستعطف ، لن أنطق ، أتطوح بعنف ، أسقط إلى الأرض ، النعال تتوالى بركلاتها الوحشية نحو وجهي .. نحو عيوني ، أشخص إليها ، أراها تقترب من عينيّ .. تصطدم بوجهي بقوة ، أدور بعينيّ حولي ، النعال تزداد ، تكثر ، تركل ، تركل ، تأتي عن بعد ، تقترب ، تكبر ، تكبر .. تصطدم بوجهي بقوة ، بقسوة ، ينبثق الدم من وجهي من فمي .. من أنفي .. من عينيّ 0 أرتفع ببصري قليلاً قليلاً ، إلى الوجوه الغريبة ، أدقق النظر ، أفاجأ ، أدهش ، الوجوه تحولت إلى نعال ؟! أصبحت الوجوه الغريبة نعالاً ، تحدق بي ، تنظر نحوي بسخرية ، تقترب مني ببطء ، تقترب أكثر.. أكثر.. ترتطم بوجهي بقوة، بعنف، بقسوة.. تتلاشى النعال ، تتلاشى الوجوه ، يتلاشى الإحساس بها ، بالحياة.
طرقات النعال عن بعد سيمفونية نشاز شيطانية ، توقظني من غيبوبتي الطويلة ، أتململ ، أحاول فتح عيوني ، ثقيلة كالجبل ، تأبى الانصياع ، أمد يديّ نحو عينيّ أساعدها .. تفشل يديّ ، أمد كلتا اليدين ، بالكاد أستطيع أن أباعد الجفون ، بالكاد أفسح المجال للرؤيا ، لا أحد حولي ، طرقات نعال الحارس في الخارج تزداد ، تقترب ، تصخب، تهدر، أغلق عينيّ المغلقتين ، أصم أذنيّ بأصابعي .. طرقات النعال تهدر ، تدوي ، تخترق جبال

العيون ، وأقفال الآذان ، تختلط بصدى ركلات النعال المحفورة في وجهي ، في نفسي ، طرقات نعليّ الحارس في الخارج تدوي بعنف ، ركلات النعال تحطم وجهي ، تحيط بي من كل صوب ، تحدق بي ، تخرج لي ألسنتها تهزأ بي ، تقترب ببطء .. ببطء ، ترتطم بوجهي ، بعينيّ بقوة ، بقسوة . طرقات نعليّ السجان في الخارج تبتعد .. تبتعد ، تتلاشى 0

هدوء موحش كهدوء القفر ، سكون مخيم كسكون القبر ، استحالت جدران الزنزانة إلى نعال ، الباب ، النافذة ، السقف ، " الجردل " ، نعال .. نعال .. تزحف نحوي تقترب مني ، تصفعني .. تركلني بشدة ، تعود إلى الوراء ، تعود إلى الاقتراب لتصفع ، لتركل ، لينبثق الدم 0

من قدميّ إلى سقف الزنزانة كنت معلقاً ، رأسي إلى أسفل ، أنظر إليهم من حولي، صورة مقلوبة ، أشكالهم تثير الضحك ، تثير السخرية ، وجوههم التي تشبه النعال إلى أسفل ، نعالهم التي تشبه وجوههم إلى أعلا ، ابتسمت للمشهد المضحك ، ضحكت ، دوت ضحكاتي تغطي صخب ركلاتهم ، عجبت للصورة المقلوبة ، لم أرَ قبل الآن نعالاً فوق الرؤوس سوى نعالهم ، ولم أرَ وجوها تشبه النعال سوى وجوههم ، غطت الابتسامة وجهي .. الركلات ، لم أصرخ .. لم أتألم .. بلغة غريبة سمعتهم يصرخون ، بشكل هستيري رأيتهم يتألمون ، يركلون ، يصرخون ، يتمزقون.

منذ البداية قررت ألا أصرخ ، ألا أستعطف ، ألا أستغيث ، ألا أنطق . في النهاية قررت أن ... أن أهزأ بالنعال ، أسخر منها ، أمد لها لساني مستهزئا ساخراً0

أقدام السجان في الخارج تقترب ، تدب على الأرض بعنجهية ، تدق الأرض بعصبية ، القدمين تصبح أقدامًا .. آلافاً ، تقترب .. تزداد صخباً ، تقترب ، ينظر السجان من ثقب الباب نحوي ، كفحيح الأفعى بلغة غريبة تمتم : " ما زال حياً ؟! "

تمتمت في سري : " نعم .. ما زلت حياً وسأظل ، رغم أنهم لا يريدون "

مفتاح الزنزانة الصدئ يدور في ثقب الباب بقوة ، تندفع النعال داخل الزنزانة ، تحيط بي ، تركلني ، أمد لها لساني سخرية ، تنهال الركلات على وجهي ، على فمي ولساني ، أُسرع بإدخال لساني إلى الداخل ، أخرجه آلاف المرات ، تنهال عليه آلاف الركلات ، أحاول النهوض ، تحاول النعال منعي ، أبصق عليها ، أُقاوم .. أستند إلى ذراعيّ، تنهال ركلات النعال إليها ، أُقاوم ، أنهض ، تنهال الركلات إلى وجهي كالمطر ، ينبثق الدم كالشلال ، أُقاوم .. أنهض .. أسمو فوق ركلات النعال ، يتلاشى الإحساس بالألم ، تقابلني الوجوه التي تشبه النعال ، ترتطم بوجهي بشدة ، أبصق عليها .. أُقاوم .. أسمو فوقها، أصل سقف الزنزانة ، أحطمه برأسي.. أُصبح عملاقاً ، أخترق السحاب ، أصل إلى القمر .. الشمس .. الكواكب .. النجوم ، أنظر إلى الأسفل ، النعال تتقزم ، الوجوه التي

تشبه النعال تتلاشى .. تندثر .. دمائي بأرض الزنزانة تزهر وردة .. زهرة .. زنبقة عملاقة ، مئة وردة .. ألف زهرة ... مليون زنبقة .. تحطم الجدران .. تحطم الأسوار .. تخترق السحاب، لتصل إلى القمر ، إلى الشمس ، إلى الكواكب ، إلى النجوم .. تعانقني ، أعانقها، تشمني ، أشمها .. ننصهر في جسد سرمدي

(البعض يفضلونها " عبودية ")!!

مقدمة :

البعض .. يموتون من أجل الحرية ..

والبعض .. يفضلونها " عبودية " ؟!

هو صديق لي ، كان يعمل هنا في مجال التجارة ، ضاقت به الأحوال في ظل المتغيرات الأخيرة التي طرأت على المدينة، وفي ظل الحصار القاتل ، فقرر أن يقوم بتصفية أعماله هنا والرحيل إلى الخارج .. إلى بلاد الله الواسعة .

قرر أن يتوجه إلى عكس الأماكن التي كان يتوجه إليها الفارون إلى الخارج دائماً ، والذين كانوا يفرون إلى دول الغرب وأمريكا . بالنسبة له ، فلقد فكر على العكس من ذلك تماماً ، فلقد يمم وجهه نحو أفريقيا .. أقصى أفريقيا .

لأنه كان يعيش في ضيق هنا ، حيث الازدحام السكاني الكثيف جداً ، وحيث الاختناق لقلة الأراضي وتقلصها بالتدريج لصالح الغابات الإسمنتية ، فلقد كان فكره منصباً على شراء قطعة أرض كبيرة ، واسعة ، ليبدأ منها مشروعاً استثمارياً ضخماً .

تعرف على صديق قديم له ، كان يقيم في جنوب أفريقيا منذ سنوات طويلة ، قام بزيارته ، أَسَرَّ له برغبته وفكرته بشراء قطعة أرض واسعة كبداية لمشروع استثماري ضخم . رحب صاحبه بالفكرة ، سأله عن المساحة التي يود أن تكون عليها قطعة الأرض . أخبره صديقي وهو شبه محرج من المبالغة في الطلب متمتماً :

- فلتكن عشرة دونمات .

ابتسم صديقه ، ضحك ، قهقه ، شعر صديقي وكأنه قد ارتكب إثماً ، إذ يبدو بأن طلبه مبالغٌ فيه كثيراً .. أتبع بسرعة متداركاً :

- فلتكن خمسة دونمات إذن .. أو أقل .

عاد صاحبه إلى الضحك المدوي من جديد .. قهقه بصخب ، أصاب صديقي الحرج الشديد ، لم يعرف سر ضحك وقهقهة صاحبه ، صمت عندما توقف صاحبه عن الضحك ، تمالك نفسه ، هتف :

- قل مئة دونم .. ألف .. عشرة آلاف .. وليس عشرة دونمات .

اعتقد صديقي بأن صاحبه يسخر منه ، صمت .. لم يتفوه بحرف ، أتبع صاحبه :

- لك ما تريد يا صاح ، سوف نذهب في الغد إلى " السمسار " الذي يقوم ببيع الأراضي والمزارع ..

في اليوم التالي ، كان الصديقان يتوجهان ناحية " سمسار " يعرفه الأول جيداً ، وسبق له التعامل معه ، تحدث معه ، أفهمه برغبة صاحبه ونيته بشراء قطعة أرض كبيرة ، مزرعة ضخمة كمشروع استثماري .

رحب " السمسار " بالفكرة ، طلب منهما الصعود إلى سيارته فوراً ، وقاد السيارة بسرعة نحو خارج المدينة ، وبعد ساعات توقف أمام باب مزرعة ، فتح له الحارس الباب بعد أن تحدث معه بعدة كلمات ، لم يلبث أن دخل ثلاثتهم إلى الداخل .

هتف " السمسار " بالصديقين :

- هذه هي المزرعة .

همس صديقي لصاحبه بعدة كلمات ، ابتسم صاحبه وهو يوجه الحديث لـ " السمسار " :

- وكم تبلغ مساحة هذه المزرعة بالدونمات ؟؟

ضحك " السمسار " ملء شدقيه حتى بانت نواجذه ، توجه لصديقي وصاحبه بالحديث :

- هل تستطيعون أن تقوموا بعملية العد .. الحساب ؟؟

التفت صديقي نحو صاحبه متعجباً !! فهو لم يدرك جيداً مغزى قول الرجل ، قطع " السمسار " الحديث وهو يصعد سيارته من جديد ..

- إذا كان لديكم الوقت الكافي للعد والحساب .. فهيا بنا .. اصعدا معي إلى السيارة لتبدآ العد والحساب .

صعد الصديقان إلى السيارة من جديد .. راح " السمسار " يقطع المسافات والمسافات الطويلة وهو يقول بين الفينة والأخرى :

- كم بلغ العد .. كم بلغ الحساب ؟؟

أكثر من ثلاث ساعات ، وما زال الرجل يقود سيارته بسرعتها القصوى ، وهو ما زال يطلعهم على حدود المزرعة ولم يدركها .. وما انفك يسألهم بين الفينة والأخرى ضاحكاً :

- كم بلغ العد ؟؟ .. كم بلغ الحساب ؟؟؟ .

صديقي بدوره شعر بأن هذا أكثر بكثير من المساحة المطلوبة ، فمطلبه كان متواضعاً جداً .. هو لا يريد سوى مزرعة متواضعة .. وليس مثل هذه المزرعة التي تبلغ مساحتها نصف مساحة دولة من دول أفريقيا ؟؟!! .

أحس بالحرج ، خاصة أن النقود التي يحملها لم تكن كافية لشراء مثل هذه المساحة الكبيرة الضخمة .

بعد ساعات وساعات ؛ كان الرجال يعودون من حيث بدأوا . قبل أن يترجل الجميع من

السيارة ، سألهم " السمسار " وهو ما زال يقهقه :
- لم تخبراني .. كم بلغ العد ؟؟ .. كم بلغ الحساب ؟؟!! .
همس صديقي في أذن صاحبه :
- " ولكن .. أعتقد بأن الثمن .. ثمن المزرعة سوف يكون كثيراً جداً .. وأنا لا أملك مثل تلك المبالغ الطائلة المطلوبة " .
توجه صاحبه لـ " السمسار " بالسؤال عن الثمن المطلوب للمزرعة .
أخبره " السمسار " بالثمن المطلوب ..
صديقي بدوره ظهرت الابتسامة العريضة على محياه لأول مرة ، فالمبلغ المطلوب غير معقول بالمطلق .. لأنه وبكل بساطة .. زهيد جداً ، فما يملكه وما يحمله من نقود يغطي المبلغ المطلوب وأكثر ، فوافق فوراً على الشراء .
أخبر صاحبه " السمسار " بالموافقة على الشراء ، بادر " السمسار " فوراً بالاتصال بالمحامي ليقوم بعمل اللازم وإعداد وتجهيز الأوراق والعقود اللازمة لبيع المزرعة .
وصل المحامي بسرعة إلى المكان ، وقام فوراً بالبدء بإجراءات البيع والشراء وإعداد العقود اللازمة ، أنهى كتابة العقود والأوراق ، طلب من صديقي التوقيع عليها ، ومن صاحبه التوقيع كشاهد و " السمسار " كبائع .. والمحامي كشاهد ثانٍ . قام صديقي بدفع المبلغ المطلوب فوراً .. تسلم نسخة العقد الخاصة به دون أن يقرأ أيٍ من بنودها .
وبعد لحظات .. كانت الإجراءات قد تمت بالكامل وبشكل جيد .. نهض " السمسار " من مكانه .. وكذلك المحامي .
قبل أن يصعد " السمسار " إلى السيارة .. تأبط ذراع صديقي من ناحية ، وتأبط ذراع صاحبه من الناحية الأخرى .. هتف مبتسماً بابتسامة عريضة :
- تعال أريك المزرعة ومحتوياتها لكي أسلمها لك بشكل نهائي وقانوني .
عليك أن تستلم المزرعة .. أرض المزرعة أولاً .. لقد عاينتها بنفسك .. ورأيت ما تحتوي عليه أرض المزرعة من أشجار وثمار .. هل هذا صحيح ؟؟
أومأ صديقي برأسه علامة الإيجاب .
.. أتبع " السمسار " :
- وهذه هي المزرعة الكبيرة للدواجن والطيور والمقامة على أرض المزرعة الكبيرة .
بهت صديقي .. فهو لم يكن يعلم بأن المزرعة تحتوي أيضاً على مزرعة كبيرة للدواجن والطيور .. فاعتبرها هبة ربانية جديدة .. فابتسم ابتسامة عريضة .
.. أتبع " السمسار " الحديث وهو يقوده إلى ناحية أخرى :
- وهذه هي مزرعة الأغنام والأبقار ..
ازداد عجب صديقي .. واتسعت ابتسامته أكثر فأكثر .. فهو لم يكن يعلم أو يتوقع بأن

تكون مثل هذه المزرعة الضخمة من الأغنام والأبقار ضمن الصفقة .
.. صعد " السمسار " والمحامي كلاً منهما إلى سيارته .. هتف " السمسار " مودعاً ملوحاً بيده :
- مبروك يا سيدي .. بالتوفيق .
حانت من صديقي التفاتة إلى زاوية معينة من المزرعة الضخمة .. إلى جانب مزرعة الدواجن والطيور .. الماشية والأبقار .. كان هناك ثمة عدد من البيوت المتواضعة .. والتي تشبه الحظائر في شكلها .. بينما عدد كبير من الرجال .. النساء .. الأطفال .. الفتيات والعجائز ..
هتف موجهاً حديثه لـ " السمسار " بتعجب وهو يشير إلى الجميع ..
- وهؤلاء القوم .. ما شأنهم ؟؟!!
ضحك " السمسار " من جديد .. قهقه .. فبانت نواجذه من جديد .. هتف جذلاً :
- هم .. " على البيعة " !!!
عجب صديقي .. لم يستوعب الأمر .. أصابته الدهشة .. أتبع :
- ولكن .. لماذا لا يغادرون ؟؟ .. لقد اشتريت أنا المزرعة الآن .. أصحبت ملكاً لي من الآن .. اشتريتها بما عليها من شجر وطيور وماشية .. فليذهبوا من هنا .
عاد " السمسار " يقهقه من جديد :
- ... هم .. " على البيعة " يا سيدي ... هم ولدوا هنا .. تربوا هنا .. عاشوا هنا .. ويموتون هنا .. هم يقومون على خدمة المزرعة .. ومزارع الطيور والماشية مقابل طعامهم .. غذائهم .. ونومهم .. فحسب .
أتبع صديقي ولا زالت الدهشة والغرابة تستولي عليه :
- ولكن ...
قاطعه " السمسار " ضاحكاً ..
- .. ولكن ماذا يا عزيزي ؟؟ ألا يكفي بأنني لم أضمهم لقائمة المبيعات ؟؟!! .. ولم أطالبك بالثمن ؟؟!! .. هم " على البيعة " .. مجاناً ؟؟!!
سيطرت الدهشة على صديقي .. لم يستوعب الأمر من جديد .. أتبع وكأنه يهذي :
- ولكن .. لماذا لا يذهبون من هنا ؟؟ .. لماذا لا يغادرون ؟؟ .. لماذا لا يذهبون إلى الحرية ؟؟!!
دوت ضحكات " السمسار " مدوية مجلجلة في المكان من جديد :
- الحرية ؟؟!! .. الحرية ؟؟!! أوه .. إنها كلمة ليست في قاموس حياتهم يا سيدي .. إنهم لا يعرفون شيئاً اسمه الحرية .. هم يعشقون العبودية .. ولا يعرفون سواها .. حاول .. جرب أن تطردهم من المكان .. حاول أن تعطيهم تلك الحرية التي تقول عنها .. التي

تتشدق بها يا سيدي .. لن يرضوا .. لن يوافقوا .. لن يقبلوا .. وسوف يتمسكون بالبقاء هنا .. في العبودية .

هم يا سيدي لا يعرفون شيئاً اسمه الحرية ؟؟!! لم يسمعوا بها ؟؟!! .. هم يا سيدي .. يعشقون العبودية ؟؟!! .

... لوح " السمسار " بيديه مودعاً .. وانطلق مغادراً المكان بأقصى سرعة بينما ضحكاته وقهقهاته ما زالت تتردد في جنبات المكان .. وفي أعماق نفس صديقي .

هدر صوت صديقي مدوياً في جنبات الأرض .. ليتردد صداه في السماوات العلا .. وهو يضغط على شفته السفلى بأسنانه بقوة أسالت الدماء منها :

" ... هناك .. في وطني فلسطين .. وفي العديد من الدول العربية المتعطشة للحرية ... يموت القوم من أجل الحرية .. وهنا .. يموت القوم من أجل العبودية ؟؟!! .

((أبيض وأسود))

الصراخ المدوي للأطفال المتحلقين في الساحة يملأ الأفق ضجيجاً وصخباً .. يتزاحمون ويتدافعون للأمام تارة وإلى الخلف طوراً ، يهللون ، يصرخون ، يصدر بعضهم صفيراً حاداً من أفواههم فيزداد الحماس وتزداد الحركة .

وسط الحلبة كانا يتصارعان بقسوة ووحشية ، لم يكن هناك بأي حال من الأحوال تكافؤاً في الكثير من الأمور بينهما ، الحجم .. القوة .. الشراسة .. والشكل .

أحدهما كان أسوداً بلون الليل الحالك السواد .. ضخم الجثة بشكل مخيف .. يمثل الشراسة والوحشية بأجل معانيها ، ينقض على خصمه يوسعه ضرباً ، يغرس أنيابه الحادة في جسده .. يمزقه بمخالبه الجهنمية ، مدور الرأس .. مستدير الوجه .. أفطس الأنف .. حاد النظرات .. بالغ الطول . أما الآخر فكان على النقيض من غريمه .. أبيض كالثلج البلوري الناصع .. رقيق الجثة بشكل مثير للشفقة .. يحمل الوداعة والرقة بكل مقاييسها .. يتلقى ضربات غريمه بحركات ساذجة .. يحاول تفادي الأنياب المشرعة والمخالب الحادة بقدر ما به من قوة واهية ، مستطيل الرأس والوجه ، طويل الأنف .. زائغ النظرات .. بالغ القصر ، صغير الحجم .. قليل الوزن .

صراخ الأطفال وتهليلهم يتعالى ، تزداد الحلقة اتساعاً ، ينضم إليها عشرات وعشرات الأطفال من مختلف الأعمار .. الذكور والإناث على حد سواء ، تزداد حرارة الشمس فتلفح بسياط لهيبها المكان ، يزداد الهرج والمرج بين الجميع .

ينقض الغريم الأسود على غريمه محاولاً تمزيقه ، يسيل الدم غزيراً من وجه وجسد الأبيض الرقيق، تسيل الدموع من عينيه .. يصدر عنه أنين خافت .. يتحامل على جراحه وآلامه ، يسيل العرق غزيراً من الأطفال ، يزداد الحماس .. الصخب .. الضجيج .

طفل وحيد من بين الجمع الحاشد لم يشارك الجميع صخبهم ، لم يشاركهم متعتهم ، لم يشاركهم ضحكهم وسعادتهم ، شارك الأبيض الوديع دموعه .. آلامه .. أنينه .

كان الطفل فزعاً ، مضطرباً ، باكياً ، متألماً ، مرتعشاً ، جزعاً لهول الموقف ، بأي حال من الأحوال لم يكن قادراً على أن يناصر صديقه الأبيض لأنه أضعف من ذلك بكثير ، لم يكن به حول أو قوة للدفاع عن صديقه لأن الغريم الأسود كان يمثل الشراسة بكل معانيها .

حرارة الشمس تزداد لهيباً ، صراخ الأطفال يزداد دوياً ، المصارع الأسود يزداد اندفاعاً وشراسة ، يضرب خصمه بقوة وعنف ، يكاد أن يقضي عليه . المصارع الأبيض

يتهاوى .. يترنح .. تسيل الدماء منه بغزارة .. يسقط على الأرض خائر القوى ، يصفق الأطفال بحرارة ، يرتفع صفيرهم وصراخهم حتى يبلغ عنان السماء .

الخصم الضخم الأسود المنتصر يخرج من الحلقة مزهواً ، يجري خلفه الأطفال جذلين مهللين ، الطفل الوحيد الذي لم يشاركهم السعادة والتهليل اندفع نحو صديقه الأبيض بعد أن انفض الجميع من المكان ، الطفل يرتعش .. يبكي .. يئن ، يقترب من صديقه الأبيض ، يجلس على الأرض إلى جانبه ، يحتضنه ، يشاركه الدموع ، يشاركه الأنين ، يمسح على جسده بيده الصغيرة المرتعشة ، يربت على ظهره برقة وحنو، يمسح دموعه .. يقبله.

طفلة صغيرة وديعة كالملاك اقتربت من المكان ، جلست إلى جوار الطفل ، راحت تواسيه ، تكفكف دموعه بيدها الرقيقة ، مسحت على جسد الأبيض .. رأسه .. وجهه ، همهم الأبيض بوهن وضعف .. أَنَ أنيناً خافتاً بصوت متحشرج .. راح الطفل يواسيه .. يخفف عنه .. يداعبه .. يناديه ، لم يستجب الأبيض لهذا أو ذاك .. لم يتحرك ، مال برأسه إلى أسفل ليشارك الجسد توسده للأرض .. أغلق عينيه ، لم تصدر عنه الهمهمة أو الأنين ، حركه صديقه .. حاول أن يرفع رأسه عن الأرض دون جدوى ، حمله بين يديه .. نهض من مكانه ، تهدل الجسد بين يديه .. سار به لا يدري إلى أين .. سارت الطفلة إلى جواره .. انسابت الدموع غزيرة كالمطر من عيني الطفل .. بللت الدموع الجسد الأبيض .. دار الطفل عدة دورات لا يدري لنفسه مقصداً .. لا يعرف ماذا عليه أن يفعل ، كَلَ الطفل من السير .. نضبت العيون من الدموع .. توقف في مكان شبه خلوي .. توقفت الطفلة الوديعة إلى جانبه .. أنزل الأبيض من بين يديه إلى الأرض .. أطرق حزناً .. ألماً ، جلس القرفصاء إلى جانب الأبيض ، مد يده يتحسسه .. يمسح جسده .. رأسه .. وجهه ، أطرق قليلاً إلى الأرض .. غرس يديه في التراب .. ملأ كفيه تراباً .. أزاحه جانباً .. كرر الأمر عدة مرات .. ازدادت الحفرة اتساعاً وعمقاً .. تصبب الغرق منه غزيراً .. راحت الطفلة تساعده ، أصبحت الحفرة عميقة بعض الشيء ، أمسك الأبيض بين يديه .. حمله إلى صدره .. إلى قلبه .. قبله قبلة طويلة .. بلله بالدموع ، وضعه في الحفرة برفق ، نظر إليه طويلاً ، أهال عليه شيئاً من التراب ، ساعدته الطفلة ، أنجز المهمة ، أضاف شيئاً من التراب فوق الحفرة المغطاة ، جعله كالقبر ، أطرق .. أَنَ .. بكى .. تشنج ، شاركته الطفلة البكاء والأنين ، نهضت ، أمسكت بالطفل من يده .. ساعدته على النهوض .. ساعدته على السير ، تلفت خلفه ناحية القبر ، مسح الدموع بطرف ردائه .. مدت يدها الرقيقة إلى وجهه تساعده في كفكفة الدموع .. استأنفا السير .

" رامي " طفل وديع ، هادئ ، بريء ، يميل إلى الوحدة والعزلة خشية تعدي الأطفال عليه وإيذائه ، لم يكن يميل إلى العدوانية أو " الشقاوة " ، يكره الشجار والمشاجرات ، يتحاشى الأطفال المشاغبين ، لم يكن له من أصدقاء ، عوض ذلك بأن صادق " الأبيض ، هزيل ضعيف هو ، التقى به ذات مساء في أحد الأزقة، لا يدري لماذا تعلق به منذ اللحظة الأولى ، راح يسير خلفه ، حاول أن ينهره في بداية الأمر ، لم ينصع " الأبيض " للأمر ، صمم على المتابعة والملاحقة ، تقبل الطفل الأمر على مضض ، أحس أن " الأبيض " يريد أن يفرض صداقته عليه فرضاً ، قبل الأمر في النهاية على مضض ، جرى " الأبيض " بين قدميه إحتفاءً بانتصاره ، إلى جانبه ، أمامه ، تمسح بالطفل برقة ، حاول مداعبته ، مد الطفل يده ناحية " الأبيض " ربت على جسده ، مسح على رأسه ، ابتدأت الألفة والصداقة بينهما ، شارك الطفل صديقه طعامه المتواضع، قطع من الخبز الجاف في كثير من الأحيان ، بعض الإدام والمتواضع من الطعام ، لم يكن يقدم له اللحم لأنه نفسه لا يعرفه إلا في المناسبات أو الأعياد ، الطيور كانت مجرد سراب ووهم يطير في الفضاء دون أن تصل إليه يده ، اكتفى وصديقه " الأبيض " بما تسمح له ظروف أسرة فقيرة من طعام متواضع ، فانعكس هزال الطفل وضعفه على صديقه ، فكونا ثنائياً منسجماً شد من أواصر الصداقة بينهما .

" جاك " طفل كبير أو لعله رجل صغير ، شرس الطباع ، مفتول العضلات ، متين الجسم ، لا يميل إلى القصر أو الطول ، منتفخ الصدر والأوداج ، متعنت ، صلب ، خشن ، فظ ، يميل إلى المشاكسة والمشاجرة ، يفتعل المواقف افتعالاً ، يتحاشاه أطفال وشباب الحيّ والأحياء المجاورة ، تماماً مثلما يتحاشاه أفراد أسرته وعائلته ، يرتدي القبعة والملابس الغريبة التي تشبه إلى حد كبير قبعات وملابس " رعاة البقر " في الغرب المتوحش ، ينتعل حذاءً طويلاً غريباً يصل إلى ركبتيه ، يلبس في يديه " جوانتي " جلدي متين يصل إلى مرفقيه .

قامت صداقة غريبة بينه وبين " الأسود " الضخم ، فيها تفاهم غريب في أمور الشر . نشأت الصداقة بينهما منذ أول مرة التقيا فيها ، قال البعض أنه اشتراه نظير مبالغ طائلة لا يدري أحد من أين حصل عليها ! ، وقال آخرون أنه سرقه ! ، خصه بالطعام المميز .. لحوم .. طيور .. معلبات خاصة ، فأصبح " الأسود " أكثر شراسة وعنفاً .. أكثر قوة وضخامة ، فأصبح ينافس صديقه في أمور الشر .

" الأبيض " أسماه صديقه الطفل " بيبو " ، لم يدر " رامي " لماذا أطلق على صديقه هذا اللقب ، فلقد خطر اللقب على باله منذ أول لقاء بينهما ، وجد نفسه يقول له ببراءة :

- أهلاً " بيبو " .. تعال " بيبو " .. اذهب " بيبو " .. هيا " بيبو " .

فينصاع للأوامر وينفذها بدقة ، توطدت الصداقة بين " رامي " وصديقه " بيبو " فأصبحا لا يفترقان على مدار اليوم إلا قليلاً ، أصبح " بيبو " كأنه ظل الطفل لا يفارقه نهاره ، وينام إلى جانبه ليلاً ، قانعاً بما يقدمه له الطفل من طعام متواضع ، وقد يجود عليه أطفال الحيّ بشيء مثله في بعض الأحيان .

ألف أطفال الحيّ المشهد البريء بين الطفل " رامي " وبين الوفي " الأبيض " ، وتعودوا على مداعبتهما البريئة لهما أثناء لهوهما الطفولي الساذج ، فكان " بيبو " يداعب هذا .. ويلاعب ذاك .. ويجري خلف ثالث ويعدو أمام رابع مؤدياً بعض الحركات شبه البهلوانية التي تثير السعادة والسرور في النفوس .

" جاك " أبى إلا أن يكون " الأسود الضخم " مرادفاً لاسمه وشخصه ، فلقد أطلق عليه لقب " جاكي "، لعله بذلك يكون قد اشتقه من اسمه ، يخصه بخيار الطعام الشهيّ ، فتزداد شهية ونهم " الأسود " أكثر فأكثر ، ويزداد ضخامة ووحشية أكثر فأكثر .

هواية " جاك " السادية كانت محصورة في تربية وتنشئة " جاكي " على الشراسة والوحشية .. وأمور أخرى ؟! .. يربطه من رقبته بطوق مثبت بسلسلة فولاذية متينة ، ويثبت طرفها الآخر في زنده وذراعه المربوطين بقطعة من الجلد فوق " الجوانتي " الجلدي الذي يرتديه في يده أصلاً ، ينطلق به في الحواري والأزقة لينشر الرعب والخوف في قلوب الأطفال والكبار على حد سواء ، الويل كل الويل لأي طفل ، أو رجل ، يحاول أن يقف في وجه " جاك " فيكتفي هذا بالنظر نحو صديقه المتوحش " جاكي " ويتلفظ بعبارة قصيرة أو يصدر صفيراً مميزاً من فمه مع إشارة معينة من يده والتي تعني بالضرورة

" أهجم عليه " .. أو " اقتله " ، فيبادر " جاكي " لتنفيذ الأمر بلا تردد ، ينقض على الخصم ويوسعه عضاً بالأنياب ، وتمزيقاً بالمخالب ، فيسارع المسكين بالفرار من المكان بعد أن أثخنه " جاكي " بالجراح وأسال دمه ، ويلجأ إلى أقرب مستشفى أو مستوصف أو عيادة لتضميد جراحه . فكان الجميع يخشون " جاك " الشرس ، ويخافون " جاكي " المتوحش .

في ذلك الصباح .. كان صوت الصراخ المدوي القادم من الحيّ المجاور يتناهى إلى مسامع " رامي" وسرعان ما أعلمه بعض الصبية من الجيران أن " جاك " يصول ويجول في الحيّ المجاور يبحث عن الكلاب ويتحرش بها مع صديقه " جاكي " ،

ويجبرها على النزال وسط حلقات الأطفال .. فينقض " جاكي " المتوحش على ذلك ، ويمزق آخر ، ويقضي على ثالث .. فتزداد حماسته لسفك المزيد من الدماء .. ويزداد هياجه وهياج صاحبه " جاك " الذي يقدم له في نهاية كل معركة قطعة ضخمة من اللحم مكافأة له .

ارتعش " رامي " عند سماعه ذلك من جاره الصبيّ ، وازداد اضطرابه مع اقتراب الصخب والضوضاء من الحيّ ، ففر هارباً إلى منزله المتواضع يتبعه كلبه الوفي الأبيض " بيبو " . وصل المنزل فلم يجد أحداً من أهل البيت .. ازداد ارتعاشه وخوفه واضطرابه .. راح يبحث عن مكان خفيّ كي يختبئ فيه ويخبئ صديقه " بيبو " .. ضاقت به جوانب البيت ، خاصة وهو يسمع الأصوات الصاخبة تقترب منه أكثر فأكثر . أخيراً لجأ إلى أسفل سريره المتهالك وألقى بنفسه على الأرض .. زحف قليلاً وهو يحتضن " بيبو " وأسدل عليهما ستارة قماشية متهالكة.

وصل إلى مسامعه صوت أحد الأطفال المشاغبين وهو يردد من بين الأصوات :

- إنه في المنزل مع الكلب " بيبو " .. لقد رأيته يفر من هنا ويختبئ مع كلبه في الداخل .

ازداد اللغط والصخب .. سمع عن بعد صوت الأسود المتوحش " جاكي " وهو يزأر بوحشية .. سمع صوت " جاك " وهو يزمجر معربداً :

- سوف أجدهما .. حتى لو اختبأا في جهنم .

ارتعش الطفل بشدة .. اضطرب .. احتضن كلبه " بيبو " إلى صدره وكأنه يحاول أن يحميه من الخطر الداهم ، اقتحم " جاك " و " جاكي " المنزل بصلافة ، بحثا في جوانبه المتواضعة .. استعمل

" جاكي " حاسة الشم القوية فاكتشف المخبأ بسهولة .. انقض " جاك " على الطفل الفزع فأخرجه من تحت السرير بعنف ، ألقى به بعيداً .. مد يده نحو " بيبو " المرتجف فأخرجه وهو يموء كالقطط ، كاد " جاكي " أن ينقض عليه ، أمهله " جاك " عن فعل ذلك بإشارة من يده ، خرج الجميع من المنزل إلى ساحة الحيّ ..

" جاك " يسحب " جاكي " بالسلسة الفولاذية بيد ويجر بالأخرى " بيبو " جراً من رقبته فيحاول المسكين التشبث بالأرض بلا جدوى ، " جاكي " يزمجر ويعربد ويحاول الإنقضاض على " بيبو " فيمهله " جاك " قليلاً بإشارة من يده وصفيراً من فمه . يعدو " رامي " خلف الجميع متقطع الأنفاس .. مضطرب القلب .. مرتجف الأوصال .. ثم ..

.. الصراخ المدوي للأطفال المتحلقين يملأ الأفق ضجيجاً وصخباً ..

* * *

" أدركيني يا أماه "

مقدمة :

... الطفل (بطل النص) .. هو طفل عراقي ... سوري ... يمني ... مصري ... فلسطيني ... ليبي ... هو عربي ..

إهداء متواضع :

لكل الأطفال المعذبين في الأرض ..

ولكل من يتعظ .. ويعتبر ..

(الكاتب)

" أدركيني يا أماه " ؟؟!!

- .. أدركيني يا أماه ... هيا انهضي .. انهضي بالله عليكِ .. فالأمر جد خطير ... أستحلفك بالله .. وبكل الرسل والأنبياء .. وبكل الكتب السماوية .. وبكل ما هو عزيز وغالٍ وسامٍ أن تنهضي ...

لا يلبث أن يتوقف عن الصراخ والنداء والبكاء المر الأليم .. يحاول أن يلملم أطراف نفسه .. وأن يكفكف دموعه الغزيرة الحارقة ...

لا يلبث أن يندفع مرة أخرى بالصراخ .. والبكاء والعويل :

- أماه .. يجب أن تنهضي لكي تقفي لجانبي .. لكي تساعديننني .. لكي تقولي لي ماذا يجب عليّ أن أفعل ... فأنا لا أعرف كيف أتصرف بالأمور وحدي .. يجب أن تنهضي لكي ترشديني .. تساعديننني ...

يتوقف لبعض الوقت لكي يلتقط أنفاسه المتقطعة .. ولكي يحاول تجفيف دموعه المدرارة من جديد ..

كان الطفل يحمل حقيبته المدرسية على كتفه .. يرتدي الملابس الرسمية لمرحلة تعليمه الابتدائي في المدرسة الكبيرة ..

لا يلبث أن يندفع مرة أخرى بالصراخ والعويل والبكاء بصوت تخنقه العبرات :
- المعلم قرعني بشدة .. عنفني بغلظة .. قرظني بقسوة .. هددني بالضرب ولوح لي بالعصا .. وعيرني بأسوأ العبارات المتلاحقة .. أستاذي اتهمني بالكسل والتكاسل .. وصمني بالخمول والبلادة .. هو أرجع هذا وذاك إلى عدم اهتمامك بي .. هو اتهمك بإهمالي وعدم الاهتمام بي .. وعدم مساعدتي في تأدية الواجبات المدرسية المنزلية ... هو أرجع كل هذا وذاك إلى أنك مشغولة بأمور أخرى عن متابعة أموري وإصلاح شأني ..
فهيا انهضي يا أماه بالله عليكِ لكي تعالجي الأمور كما كنت تفعلين دوما .. هيا بالله عليك .. انهضي يا أمي ..

كان الطفل قد راح يبكي بحرقة ومرارة .. وراح يهرول من حجرة الدراسة المدرسية إلى الخارج .. لينطلق إلى البعيد البعيد .. بينما العبارات اللاذعة من التعنيف والتقريع والتقريظ من معلمه تلاحقه بقسوة وعنف ووحشية .. كان يفر من المكان وكأن الشيطان ذاته يلاحقه .

وقف الطفل إلى جانب رأس أمه لاهثا مضطرباً .. شاكياً باكياً .. يذرف الدموع الحارقة بغزارة .

راح يتوسل إلى أمه أن تنهض من مكانها لكي تأتي إلى المعلم .. إلى أستاذه الذي كال له التهم جزافا .. كي تشرح له الأمر ... وتوضح له الموقف .

طال بالطفل العويل والبكاء .. الصراخ والنداء .. التوسل والرجاء ..ولكن الأم لم تستجب لكل هذا وذاك .. ولم تنبس ببنت شفه .. ولم تحرك ساكناً ... واستمرت في هدوئها وسكوتها وسكينتها .

... فلقد كانت تغط في نوم عميق.. طويل ... بعد أن أصيبت من العدو بقذيفة مدفع إصابة مباشرة ... فراحت تغط في نوم عميق عميق ... طويل طويل ... داخل القبر ؟؟!!

" أضحية .. وضحية "

مقدمة :

النص ليس بريئاً بما فيه الكفاية ... فهو نص " رمزي " .. " مرمز "... وإذا انطبق على شخص ما .. حكومة ما .. دولة ما... فإن هذا يكون من قبيل المصادفة البحتة فحسب؟؟!!

تنويه :

ما بين الـ " الأضحية " .. والـ " ضحية " فرق بسيط لا يتعدى حرف الألف والهمزة .... وفي كثير من الأحيان .. يتساوى الطرفان ؟؟؟!!

إهداء خاص :

لابنتي الغالية ... أستاذتي الراقية " همسات إيمانية " رعاها الله ... التي أوحت لي بفكرة النص .

(الكاتب)

" أضحية .. وضحية "

ثمة جلبة وضوضاء وأصوات متباينة تقترب رويداً رويداً من المكان داخل البيت .. يهرع الأب والزوجة والأبناء والأطفال لاستطلاع الأمر .. فلا يلبث أن يقتحم المكان رجل أنيق ذو ياقة منشاة .. يرتدي " بزة " راقية من الصوف الأجنبي الفاخر المستورد .. ويضع حول رقبته " ربطة عنق " يتدلى منها دبوس ذهبي من الحجم الكبير ..

يقترب الرجل الأنيق ذو الياقة المنشاة من صاحب البيت هاشا باشا .. مبتسما فاتحاً ذراعيه عن آخرها ليضم صاحب البيت لصدره ويتحفه بعدة زخات من القبلات المتلاحقة ..

صاحب البيت يصاب بالدهشة للأمر .. فهو لم يلتق من قبل بهذا الرجل صاحب الياقة المنشاة والدبوس الذهبي المدلى من ربطة عنقه ؟؟!!..

لا يلبث أن يدخل إلى المكان رجلاً قوي البنية يجر " كبشاً " ضخما .. ذي قرنين رهيبين .. ويضعه في المكان ثم يغادر..

يفتح صاحب البيت فاه الدهشة عن آخره وهو يتوجه ببصره ناحية الرجل ذو الياقة المنشاة مستطلعا الأمر ...

يدخل فجأة إلى المكان رجل آخر يحمل صناديق كرتونية كبيرة ... وبإشارة من يد الرجل ذو الياقة المنشاة يضعها على الأرض ويغادر ...

يفتح صاحب البيت فاه الدهشة بشكل أكثر وهو ينظر نحو الرجل ذو الياقة المنشاة متسائلا ؟؟

يقترب الرجل ذو الياقة المنشاة من صاحب البيت بابتسامة صفراء تحمل ألف مغزى ومغزى غاب عن صاحب البيت إدراك إحداها ؟؟؟

هتف ذو الياقة المنشاة وهو يبتسم ابتسامة عريضة بينما كان يضع يده فوق كتف صاحب البيت هاتفا :

- كل عام وأنت طيب يا سيدي ... غداً هو " عيد الأضحى " .. فهذا " الكبش " هو أضحية العيد لك ولأسرتك الكريمة ؟؟!!

ازدادت ابتسامة صاحب البيت اتساعاً وبلاهة .. فهو لم يدرك المغزى والمعنى لقول الرجل صاحب الياقة المنشاة ... فنظر نحوه ببلاهة متسائلاً ..

لا يلبث ذو الياقة المنشاة أن أتبع القول وهو ما زال يبتسم ابتسامته السمجة تلك :

- .. وهذا الصندوق هو هدية لك يا سيدي .. بداخله بضع زجاجات من الخمر المعتق .. والمشروبات الروحية المختلفة ؟؟؟

صعق الرجل صاحب البيت وكاد أن يقع على الأرض متهالكا .. ووجه نظره ناحية ذو الياقة المنشاة متسائلا.. فلم يمهله ذو الياقة المنشاة أكثر .. فأتبع :

- وفي هذا الصندوق الأخر ... زجاجات من المشروبات الروحية الخفيفة التي يحتوى بعضها أيضاً على مادة أقل تأثيرا من الخمر ... والمكونة من ماء " الشعير المغلي " للأبناء والزوجة ؟؟!!..

لم يمهل ذو الياقة المنشاة صاحب البيت أكثر .. فسرعان ما كان يخرج من جيبه الداخلي " عدة شيكات " .. جاهزة للصرف .. بمبالغ لا بأس بها وهتف :

- وهذه المبالغ هي لمصروف العيد للعائلة والأسرة .. والأبناء ؟؟!!

أدار الرجل ذو الياقة المنشاة ظهره مغادرا المكان وهو يقهقه بشدة .. ولم يلبث أن استدار بحركة مسرحية مبتذلة نحو صاحب البيت مرة أخرى وهو يتمتم :

- لقد نسيت أن أقول شيئا بسيطاً .. أرجو أن لا تنس بأن غدا هو يوم الانتخابات الحاسم .. وأنت تعرف بأنني على رأس قائمة المرشحين لهذه الانتخابات .. وأنا أعرف بأنك رجل طيب جداً .. ولن تبخل عليّ بصوتك .. لا أقصد صوتك فحسب .. بل صوتك وصوت أولادك .. وبناتك .. وزوجتك .. وأقاربك ؟؟!!

.. كان الاستنكار للموقف شديداً .. فلقد دق الأرض بقدميه بقوة وشدة في ضربات استنكارية عصبية متلاحقة .. رفضاً لهذه المهزلة التي قام بها ذو الياقة المنشاة ...

لم يكن صاحب البيت هو من قام بهذه الحركة العصبية الاستنكارية .. .. بل .. كان " الكبش " ذو القرنين ؟؟!!

أما الرجل صاحب البيت .. فقد كان له شأن آخر يشغله ؟؟!!.. فقد كان يتفحص الشيكات .. وصناديق المشروبات الروحية المختلفة ..

استأنف حركات الاستنكار والرفض من جديد وبشدة .. ليس الرجل بالطبع .. بل " الكبش " .. ولم يلبث أن اندفع ناحية صاحب البيت بقوة .. فضربه بقرنية العظيمين ... فطوح به إلى الأعلى .. ثم سقط على الأرض ..

كانت السقطة من القوة لدرجة أن الرجل قد حطم كل زجاجات الخمر والمشروبات الروحية وسالت على الأرض .. وتمزقت كل الشيكات التي كان يحملها ...

... وفي مرحلة النزاع الأخير لصاحب البيت .. كان يشاهد " الكبش " وهو يفر من المكان .. ؟؟!!

(اغتصاب)

==========

مقدمة :

أحداث وشخوص النص حقيقية .. حدثت على أرض الواقع .. ولا فضل للكاتب على النص .. اللهم سوى الصياغة الأدبية فحسب .

(الكاتب)

تنويه :

الكاتب لا يقصد أي بعد سياسي .. ولا يقصد أي حاكم عربي .. في أي بلد عربي .. لأن الحكام العرب .. يتمتعون بالديمقراطية ويؤمنون بحرية شعوبهم وحرية التعبير .. ولا يعرفون شيئا اسمه " اغتصاب " ؟؟!! .

اللهم إلا إذا رأي القارئ غير ذلك ؟؟!! .

(الكاتب)

تقديم :

" اغتصاب " .. ليس قضية فردية وشخصية .. جرت أحداثها لامرأة ما .. في مكان ما ... في عصر ما ..

فهي قضية " اغتصاب " أبعد من ذلك بكثير .. ؟؟!!

(الكاتب)

إهداء متواضع :

إلى الأستاذة الفاضلة .. التي أوحت لي بفكرة النص .. وقد كانت شاهد عيان على الحدث الذي جرى في النص ..

.. وإلى بطلة النص الحقيقية ...

(الكاتب)

(اغتصاب)

.. لا ... لا أيها السادة .. فليس هذا المشهد الذي تشاهدونه الآن مشهدا تمثيلياً لفيلم سينمائي من أفلام " الآكشن " ...
ولست أنا بممثلة أقوم بدور البطلة ..
وليس هؤلاء الذين يتحلقون من حولي ممثلين يقومون بدور العصابة التي تقوم بمهاجمة امرأة بقصد اغتصابها .

لماذا أراكم هكذا تفتحون أفواه الدهشة ببلاهة ؟؟!! .. لماذا أراكم لا تحركون ساكناً ؟؟ .. لماذا لا تهبون لنجدتي .. ولمساعدتي ؟؟

إن هؤلاء الرجال .. والشباب المتحلقين من حولي ... يريدون اغتصابي .. نعم .. هم يريدون اغتصابي .. على مشهد ومرأى منكم جميعاً ... فأين الشرف ؟؟ .. أين الشهامة .. أين الكرامة ؟؟ ؟ هل ذهبت كلها أدراج الرياح ؟؟؟ . أم تراكم قد أصبتم بالصمم .. بالعمى ؟؟! .

لم أكن أدري بأنكم جبناء إلى مثل هذا الحد .. أين أنتم من تلك المرأة المسلمة التي حركت جيوش المسلمين بمجرد كلمة واحدة تفوهت بها ؟؟!! بمجرد أن صرخت بكلمة " وإسلاماه " ؟؟!! .

هل تريدون أن تعرفوا من أنا ؟؟ ..
لكم ذلك ..
فأنا لست غانية أو بائعة هوى .. لست متشردة ولا متسولة .. بل أنا طالبة جامعية .. نعم .. أنا طالبة علم .. طالبة جامعية ملتزمة .. ذات خلق ودين بشهادة رفيقاتي كلهن .. ويبدو بأن هذه الأمور هي التي كانت سبب مصيبتي ... يبدو بأن عفتي وعذريتي لم ترق للبعض ..؟؟!! .. ويبدو بأنهم قد أصيبوا بالجنون لأنني صرخت عاليا :
لاا

هذه هي أنا .. أما هؤلاء الذين يتحلقون من حولي ويهاجمونني بوحشية على مرأى ومشهد منكم .. ومن الجميع .. فهم من الحرس الجامعي ؟؟!! نعم .. هم من رجال أمن الجامعة ؟؟ !! هل يمكنكم أن تتصوروا هذا ؟؟ .. ولم العجب ؟؟!! وقد انطبق على واقع الحال ذلك المثل العامي المتداول " حاميها حراميها " ؟؟!! .

أها .. ها أنتم تسألون عن تلك المرأة التي قامت بالتدخل في الأمر .. نعم .. إنها " مشرفة سكن الطالبات " .. نعم .. ها هي تتدخل في الأمر بقوة وعنف .. تكيل اللكمات والركلات المتتالية بوحشية ... نعم .. هي تفعل ذلك كله ..

ولكن ركلاتها ولكماتها وصفعاتها تنهال على وجهي ؟؟!! .. على جسدي ؟؟!!.

يبدو بأنها قد انضمت إليهم وانحازت لجانب عصبة الإفك ..تلك ... لأنها كانت من طينتهم .. من ملتهم .. وقد كان من الأجدر بها أن تنحاز لجانبي .. لأنني امرأة مثلها .. ولأنني الحلقة الأضعف .. ولأنني من وقع عليّ الظلم والجور .. ولأنني من يريدون اغتصابها .

مالي أرى طلاب الجامعة من الرفاق يتحلقون ويلتفون من حولي هكذا ؟؟!! .

مالي أراهم يقفون هكذا كالبلهاء .. لا يحركون ساكنا ؟؟!! .

صرخت فيهم بقوة وعصبية :

" تحركوا .. تحركوا أيها الجبناء .. تحركوا أيها الحمقى .. تعالوا لنجدتي .. خلصوني من بين أيدي عصابة الإفك هذه التي تنوي الفتك بي واغتصابي .. مالي أراكم لا تتحركون ..؟؟؟ لا تهبون لمساعدتي .. لنجدتي ؟؟ يا لكم من جبناء .. قتلكم الخوف ... أماتكم الجبن ... لا .. لا .. لن أستسلم أبداً .. أبداً ..

هم يريدون اغتصابي وإذلالي وامتهان كرامتي أمام جميع الطلاب الجامعيين في المكان .. يريدون اغتصابي بوحشية وهمجية لإذلالي وقهري ..

لا .. لن أستسلم أبداً .. أبداً .

ها هم يمزقون ملابسي بوحشيتهم البربرية .. ها هم ينثرون كتبي وكراساتي الجامعية ويلقون بها متناثرة في كل مكان ؟؟

ها هم ينهالون بالضرب المبرح على وجهي .. وجسدي من جديد ... كي يوهنوا عزيمتي .. ويفتوا من عضدي .. ولكني لن أستسلم .. لن أستسلم لهم أبدا ..

فأي وحشية هذه ؟؟ .. وأي قذارة هذه ؟؟

ها أنا أصرخ في وجوههم بتلك الكلمة التي كانت قد أرعبتهم منذ البداية .. وزرعت في قلوبهم الحنق والغيظ .. والخوف .

" لاا "

ها أنا أطلقها في وجوههم مدوية مجلجلة .. يتردد صداها في جنبات الأرض وأرجاء السماء .

يزداد حنقهم .. غيظهم .. وحشيتهم .. ينهالون على وجهي وجسدي بالضرب المبرح من جديد .. يتكالبون عليّ بوحشية .. يلقون بي على الأرض بعنف .. هم يريدون أن يكمموا فمي ... حتى لا أنطق بحرف ... أطلقها من جديد مدوية مجلجلة :

لاااااااااااااااااااااااااااااا

يمزقون ما تبقى على جسدي من ملابس بعنجهية وصلف .. يسحبونني من شعري .. يسحلون جسدي شبه العاري على الأرض ..

الغريب .. العجيب .. بأن جميع من حولي لا يحركون ساكنا رغم المشهد الدموي !!؟؟

يجروني من شعري إلى الخارج بعنف وعنجهية ..

أصرخ فيهم بما تبقى بي من قوة :

لاااااااااااااااااااااااااااااا

دعوني ..

اتركوني ..

يزداد حنقهم وغيظهم ..

أصرخ صرخة مدوية .. أستجمع فيها كل قوتي وقد فروا بي من المكان :

إلى أين ؟؟؟؟؟؟!!!!!! .

(انتهى النص .. ولم تنته المأساة)

(الكاتب)

"الأمير أحمد"

.. إلى الكويت وصلت .. برفقة مجموعة من الفتيات من بنات جلدتها .. بيضاء ناصعة كالثلج هي .. رقيقة كالنسمة .. خفيفة كالفراشة .. حلوة كالشهد .. جميلة كالقمر . طفلة كبيرة .. أو امرأة صغيرة .. لم تتعد الثامنة عشرة من عمرها .. من " موسكو " العاصمة هي .. حضرت مع بعض صديقاتها الروسيات بعد أن تم تعاقدهن مع " الرجل الأنيق " للعمل .. " سكرتيرات " .. موظفات استقبال في الفنادق الراقية .. مربيات أطفال لدى بيوت الأمراء والأثرياء .. موظفات بيع في المحلات التجارية الكبرى . كان هذا هو العمل الذي تم التعاقد عليه معهن ، ولكن العمل الحقيقي كان شيئاً آخر لا يمت إلى هذا وذاك بصلة .

ما إن وصلت المحطة الأخيرة .. حتى كان في استقبالهن زمرة من المشايخ ذوي اللحى الطويلة والعباءات المقصبة المذهبة المدلاة والابتسامات الخبيثة والنظرات المتلهفة .

ما إن أنقد كلاً منهم رزمة ضخمة من الأوراق النقدية لـ " الرجل الأنيق " حتى اندفع نحو فتاته التي اختارها من بين الصبايا .. وراح يشدها من يدها بغلظة وفظاظة .. بينما الرغبة الجامحة تسيل مع لعابه المنهمر من فمه المخيف .

ظنت " فالنتينا " أن الرجل ذو اللحية الكثة والعباءة المقصبة المذهبة المدلاة واللعاب المنهمر .. ظنته رب العمل .. تماماً كما اعتقدت بقية الفتيات ذلك عندما هجم عليهن ذوي العباءات المزركشة المقصبة والمذهبة المدلاة .

قادها بجلافة وصلف كأنه يقود الحمل أو الجمل نحو السيارة الأمريكية " آخر موديل " .. أجلسها في المقعد الخلفي للسيارة .. لم يجلس في المقعد الأمامي إلى جانب السائق .. جلس إلى جانب الفتاة .. التصق بها .. بإشارة خاصة من حاجبيه كان السائق يتحرك بسرعة .. سال لعاب ذي اللحية والعباءة وهو يمد يده ناحية فخذ الصبية الأملس الرقيق .. ابتسمت الفتاة رغماً عنها وهي تحاول إبعاد يده الخشنة عن ساقها البضة برفق .. أحس أن شيئاً من كرامته ورجولته قد مست .. هجم على الفتاة يحاول ضمها وتقبيلها .. مد يده الخشنة داخل صدرها وراح يعبث بمحتوياته بقوة وعنف كالمحموم .. سال

لعابه على وجهها وصدرها .. فبلل رداءها الجميل المتواضع .. في نفس اللحظة التي كان يبلل فيها سرواله الداخلي والخارجي؟.

هدأ قليلاً وهو يمصمص شفتيه وشفتيها .. حاولت أن تبعده أكثر من مرة اتقاءً لرائحته الكريهة ولحيته الغريبة ولعابه المنهمر .. ضغط على فخذها بقوة .. تأوهت برقة فزادت الرغبة لديه من جديد .. اندفع كالحيوان الجامح ينقض على فريسته .. أمر السائق بإسدال الستائر على نوافذ السيارة ، راح يخلع عباءته عن جسده .. وراح يحاول أن يجرد الفتاة من ملابسها ؟ .. بإشارة أخرى كان السائق يغلق أبواب السيارة ويرفع الزجاج حتى لا يدع مجالاً للفتاة بالهرب ، وإمعاناً في الحيطة زاد من سرعة السيارة ووضع شريط مسجل صاخب في الجهاز .

راح يحتضن الفتاة شبه العارية وينهمر عليها بالقبل بينما راحتاه وأصابعه تعبثان في سائر الجسد البض رغم تمنع الفتاة واحتجاجاتها وصرخاتها المكتومة والمدوية .. بلل ذو اللحية الكثة والعباءة المقصبة المذهبة المدلاة واللعاب المنهمر ثياب الفتاة بلعابه ، وبلل سرواله الداخلي والخارجي عدة مرات ؟! .

بعد لحظات كان ذو اللحية يهدأ شيئاً فشيئاً .. وراح جسده يتراخى تدريجياً وتتراخى راحتاه عن جسد الفتاة .. ثم راح في سبات نوم عميق وارتفع شخيره ليملأ المكان .

راحت الفتاة تلملم شتات نفسها المبعثرة وتلملم ملابسها المتناثرة ، محاولة ارتداءها بعد ان كانت شبه عارية وبعد أن أحست أن صدرها يتمزق ويلتهب من آثار اليدين الخشنتين والتين كانتا تمزقان الجسد والصدر بوحشية .. أخذت تبكي وتئن كطفلة صغيرة فقدت شيئاً عزيزاً عليها .. راحت تلملم شتات نفسها وأشياءها بانكسار وذلة .

وصلت السيارة إلى بوابة كبيرة ، قام السائق بفتحها عن طريق " الريموت كونترول " .. دخلت السيارة إلى المكان الفسيح الذي يشبه الحديقة أو الغابة .. قاد السائق سيارته طويلاً حتى وصل القصر المنيف الذي يتوسط الحديقة .. ترجل السائق من أمام المقود ، صمت للحظات وكأنه يخشى أن يوقظ الرجل ذو اللحية من سبات نومه .. تململ ذو اللحية .. تثاءب .. تمطى .. أصدر أصواتاً غريباً وهو يخرج رياحاً متعاقبة من أسفل ؟ .. سارع السائق لفتح الباب الخلفي للسيارة بنفسه وهو الذي يستطيع أن يفعل ذلك وهو جالس أمام المقود من خلال الأزرار العديدة التي أمامه .. تلقى إشارة معينة من الرجل ذو اللحية والعباءة واللعاب ، أمسك الفتاة بقوة وصلف .. طوقها بساعديه القويتين محاولاً إخراجها من المقعد الخلفي للسيارة ، كان يتعمد الاحتكاك بها

وضمها ومحاولة تقبيلها وهو يقوم بالمهمة بينما الرجل ذو اللحية والعباءة واللعاب يراقب الأمر بابتسامة بلهاء وهدوء غريب .

تمكن السائق بعد عدة محاولات من انتزاع الفتاة من المقعد وحملها بين ذراعيه كطفلة صغيرة وانطلق بها إلى داخل القصر المنيف .

ألقى السائق بالفتاة إلى سرير فخم في الحجرة الأنيقة والمؤثثة بالأثاث باهظ الثمن .. راح يجردها من ملابسها بعنف وفظاظة رغم محاولاتها اليائسة في الدفاع عن نفسها حسب قوتها المتواضعة . بعد لحظات كان قد جردها من ملابسها الخارجية والداخلية بتمزيقها بعنف وعصبية بعد أن استعصى عليه تجريدها منها بدون اللجوء إلى العنف والتمزيق .

كانت خطوات ذو اللحية والعباءة واللعاب تقترب من المكان رويداً رويداً .. وقبل وصوله إلى الحجرة كان السائق قد أنهى مهمته مع الفتاة بتجريدها من ثيابها ، أحس أن لديه بعض المتسع من الوقت فانقض عليها وراح يقبلها في شتى أنحاء جسدها ويعمل يديه عبثاً في جسدها .

لم يلبث ذو اللحية والعباءة واللعاب أن وصل الحجرة .. دفع الباب بقدمه بقوة .. رأى السائق في ذلك الوضع .. راح يسب ويلعن ويشتم ويصرخ به بحنق وغيظ ..هرول السائق من المكان محاولاً الهروب إلى الخارج منكساً رأسه مفسحاً المجال لسيده .. فلما اقترب من باب الحجرة بصق عليه ذي اللحية بقوة وعنف فلم يرفع السائق عينيه عن الأرض وهرول مغادراً المكان .

نظر ذو اللحية والعباءة واللعاب إلى فريسته المسجاة على السرير الحريري ، فابتسم ابتسامة الذئب الذي ينوي الانقضاض على فريسته .. راح يخلع عباءته المقصبة المذهبة المدلاة.. وسرواله المبلل .. وثوبه الموشى بالذهب الخالص .. وثيابه الداخلية .. إلى أن تجرد تماماً من ملابسه .. مال ناحية دولاب الملابس .. أخرج منه علبة صغيرة .. تناول منها بعض الأشياء .. وضعها في فمه بلذة غامرة .. نظرت الفتاة ناحية الرجل فهالها بشاعة مشهده وسوء منظره وهو مجرد من الثياب هكذا ، تصورته الشيطان ذاته .. دفنت رأسها في الفراش حتى تتلاشى النظر إلى ذلك المشهد المريع .

اندفع الرجل نحوها اندفاع الشيطان .. ألقى بجسده العاري فوق جسدها البض .. صدرت عنها صرخة رعب وخوف وأنة ألم .. حاولت إبعاده عن جسدها .. تمكنت من ذلك بعد عدة محاولات مستميتة .. في المحاولة الأخيرة كانت تدفع بالرجل إلى جانب السرير .. يبدو أن الدفعة كانت قوية بعض الشيء ، فسقط الرجل على الأرض بلا حراك .

صعقت الفتاة .. ارتعشت .. ارتعدت .. تملكها الخوف والجزع .. اقتربت من جثة الرجل .. تأكدت أنه يتنفس بصعوبة.. جزعت .. سارعت إلى بقايا ملابسها الممزقة المهلهلة ووضعتها على جسدها .. وجدت أنها لا تستر الجسد .. مالت نحو العباءة وارتدتها فوق الثياب المهلهلة .. تلفتت حولها عدة مرات .. فتحت باب الحجرة .. سارعت بالمغادرة .

خرجت لا تلوي على شيء .. لا تدري إلى أين تذهب .. خرجت من القصر .. أخذت تعدو ناحية البوابة الخارجية.. حاولت فتحها دون جدوى .. قررت أن تتسلق السور والانطلاق إلى الخارج ..

أخذت تعدو بكل ما أوتيت من قوة .. أو بما تبقى بها من قوة .. محاولة الابتعاد عن المكان بقدر الإمكان .. تتلفت إلى الوراء بين الفينة والأخرى وكأنها تحس أن أحداً ما يلاحقها .

الوقت متأخر جداً .. الساعة ما بعد الواحدة ليلاً .. الشوارع شبه خاليه أو لعلها كذلك .. المنطقة شبه نائية أو هي كذلك .. السيارات معدومة على الطريق .. أخذت تعدو وتعدو بدون هدف .. فكل همها أن تبتعد عن المكان المشؤوم وعن ذي اللحية والعباءة واللعاب .

جزعت وهي تسمع صوت فرملة مكابح سيارة إلى جانبها .. استمرت في العدو دون أن تنظر إلى مصدر الصوت .. استمرت السيارة تلاحقها .. جزعت .. ارتعشت .. اعتقدت أنه سائق سيارة ذو اللحية والعباءة واللعاب .. نظرت نحو السيارة .. تأكدت أنها ليست هي .. استمرت في العدو .. استمرت السيارة في الملاحقة .

تعثرت بطرف العباءة المدلاة .. سقطت على الأرض بقوة .. أغمى عليها .. انزلقت العباءة عنها .. انكشف جسدها الذي لا تغطيه سوى الثياب المهلهلة ..توقفت السيارة .. ترجل منها شاب .. اقترب من الفتاة .. حملها بين ذراعيه .. وضعها في المقعد الخلفي للسيارة .. غطاها بالعباءة جيداً .. ستر الجسد .. ركب السيارة .. قادها بسرعة مبتعداً عن المكان .

* * *

تململت الفتاة .. أفاقت من الغيبوبة .. هتفت بالروسية بصوت متحشرج تخنقه العبرات :

- ماما .. أين أنت ماما .. ماما ..

تلفت الشاب الذي يقود السيارة نحوها .. أحس بما تعانيه الفتاة .. هتف بها برقة بالروسية :

- أرجوكِ .. لا تنزعجي يا عزيزتي ..

يبدو أن عبارته قد أفاقتها جيداً من الإغماءة .. اعتدلت في جلستها في المقعد الخلفي للسيارة .. نظرت نحو الشاب بجزع .. هتفت بصوت متحشرج مجهد :

- أرجوك .. دعني وشأني .. دعني أترجل من السيارة .. أريد العودة إلى أمي .. إلى موسكو .. فوراً .. الآن ..

ثم أجهشت بالبكاء المر الأليم .. أحس الشاب بما تكابده الفتاة من معاناة والم .. راح يخفف عنها بصوت رقيق مهذب :

- أرجوكِ .. لا تنزعجي يا عزيزتي ..سوف أعيدك إلى أمك .. إلى موسكو .. فقط .. أرجو أن تهدئي قليلاً .

راحت تبكي بشدة بصوت مرتفع كطفلة صغيرة .. راح جسدها يهتز ويرتعش .. بد التأثر والاضطراب عليها واضحاً جلياً .. هتفت من بين الدموع والأنين :

- ماما .. أين أنت ماما ؟ .. لا أريد العمل .. لا أريد .. أريدك أنت ماما .

حاول أن يلاطفها بالحديث بقدر الإمكان .. بعد محاولات هدأت الفتاة قليلاً .. هتفت بصوت ممزق :

- لماذا تفعلون بنا هكذا ؟

فوجئ بالسؤال الغريب .. لم يدر ماذا تقصد الفتاة بالسؤال .. هتف بها برقة :

- ماذا فعلنا يا عزيزتي ؟ .. ومن الذي فعل ؟
- الشيخ .. ذور اللحية الكثة .. والعباءة المقصبة المذهبة المدلاة .. واللعاب المنهمر .
- ما شأن هذا الشيخ يا تري ؟
- كاد أن يفترسني .. حسبته وحش يريد افتراسي والتهامي .. لقد قالت لي أمي أنكم متوحشون .. تأكلون بني البشر .. فلم اصدقها .. ولكن يبدو أن أمي كانت صادقة .
- ولكنه على كل حال لم يفترسك .. والدليل أنك ما زلت حية .
- أنت تتحدث الروسية جيداً ؟
- ببساطة .. لأنني تعلمت في روسيا .. في موسكو بالذات .
- موسكو .. أوه .. ماما .. أين أنت ماما .. أريدك حالاً ماما .. أنا بحاجة إليك ماما .
- اهدئي قليلاً .. وسوف أحاول إعادتك إلى موسكو .
- حالاً .. حالاً ..
- حالاً يا عزيزتي .. فقط دعين أقوم بواجب الضيافة .
- لقد رأيت بنفسي كيف تقدمون واجب الضيافة عنكم ..

- أين ؟
- عند الشيخ ذو اللحية الكثة البشعة والعباءة المقصبة المذهبة المدلاة واللعاب المنهمر
- لا بد وأنه عجوز مراهق .
- لقد رأيته يدفع لـ " الرجل الأنيق " رزمة من الأوراق النقدية ولم أكن أحسب بأنها ثمني .. يبدو أن لديكم الكثير جداً من الأوراق النقدية التي لا تحتاجون إليها .. لقد اشتراني .. أرادني عبدة ..
لقد أفهمتني أمي بأنكم تتاجرون بالرق .. تشترون العبيد السود .. ولكن يبدو أنني كنت عبدة بيضاء هذه المرة .
- لماذا أتيت من موسكو إلى هنا ؟
- للعمل .. كما أفهمني " الرجل الأنيق " .. وليس للدعارة كما أراد الشيخ ذو اللحية .
- متى وصلت من موسكو ؟
- قبيل محاولة افتراسي بساعات قليلة .. لعلها كانت وليمة الاستقبال عندكم .. ولكن .. من أنت ؟
- أنا .. أوه .. .. أنا أدعى الأمير أحمد .. ليس من الأمراء الأثرياء جداً .. ولكن من الأمراء الأقل ثراءً .. يعني ببساطة .. المليونير الفقير ..
- هاها .. أمير .. فقير ؟ .. هذه أول مرة أعرف أن الأمير يكون فقيراً .. فالأمراء دائماً هم الأغنياء .
- جيد أنك تضحكين .. جيد أن أتعرف إليك أيضاً .
- ولكن .. إلى أين ستذهب بي الآن ؟
- إلى قصري .. قصري المتواضع .. فهو ليس قصراً منيفاً على كل حال .
- هل لديك محظيات .. حريم .. نساء ؟
- ليس لدي أي شيء من هذا أو ذاك .. حتى أنني لست متزوجاً .. ولا يوجد في قصري المتواضع من نساء سوى أمي .. وشقيقاتي .
- عربي .. أمير .. ثري .. وليس لديه نساء ؟
- إنها أفكار ملفقة .. خاطئة ..
- والرجل ذو اللحية البشعة .. والعباءة المدلاة .. واللعاب المنهمر ؟!
- حالة .. حالة شاذة .. ولكن . ما اسمك ؟!
- " فالنتينا " ..
- أوه .. لعلك " فالنتينا تريشكوفا " رائدة الفضاء الروسية .

- بل " فالنتينا ميخائيل " ..
- فالنتينا " .. هل توافقين ؟!
- على ماذا ؟!
- أن تتزوجيني ؟

لحظات صمت سيطرت على المكان .. أطرقت الفتاة قليلاً .. رفعت رأسها .. تمتمت :

- أمير أحمد .. هل أنت مسيحي ؟!
- مسلم .. مسلم يا عزيزتي ..
- والرجل ذو اللحية البشعة ..
- مسلم أيضاً ..
- ولكنك ليس مثله .
- ليس كل المسلمين سواء .
- ورغم ذلك .. فإنه لا يمكن ..
- لماذا ؟!
- لأنني مسيحية .
- الأمر بمنتهى البساطة يا عزيزتي .. تشهرين إسلامك فينتهي الأمر .. أو أن تظلي على دينك فـ

" لا إكراه في الدين " ..

- ماذا عليّ أن أقول لأشهر إسلامي ؟
- أشهد ان لا إله إلا الله .. واشهد أن محمداً رسول الله .

صمتت لحظات .. أطرقت .. تمتمت :

- دعني أفكر في الأمر .. والآن إلى أين تريد ان تذهب بي ؟!
- إلى قصري المتواضع .. حيث أمي وشقيقاتي ..
- هل هو من قصور " ألف ليلة وليلة " ؟!
- ومن أعلمك بأمر " ألف ليلة وليلة " ؟!
- قرأتها أمي على مسامعي ذات مرة .. وقرأتها عدة مرات .. مترجمة إلى الروسية .. لقد استمتعت بها جيداً .
- قصري ليس من قصور ألف ليلة وليلة .. ولكنها من قصور ليلة فقط .
- شوقتني جداً لرؤية قصر ليلة هذا .. ورؤية أمك وشقيقاتك .. هل هن جميلات ؟!
- ستحكمين على ذلك بنفسك .

وصلت السيارة إلى منطقة بنيت فيها العديد من القصور المنيفة .. ويبدو انها منطقة قصور الأمراء .. لم يلبث الأمير أحمد أن هتف وهو يترجل من السيارة :

- ها قد وصلنا .. تفضلي إلى قصرك المتواضع .. سيدتي الأميرة ..

ترجلت من السيارة .. حاول أن يسندها .. راح يغطي جسدها شبه العاري بالعباءة المدلاة .

* * *

- أشهد أن لا إله إلا الله ... وأشهد أن محمداً رسول الله .

كانت " فالنتينا " تنطق بالشهادة بلكنتها الروسية أمام القاضي والشهود .. صفق الجميع .. راحوا يهنئونها ويهنئون الأمير أحمد .. وتمت إجراءات مراسم الزواج حسب الشريعة الإسلامية .

مرت الأيام .. الشهور .. السنين .. عشا في حب وسعادة .. أثمر الزواج عن طفل كالبدر .. فكانت سعادتهما به لا توصف .

من في المدينة الكبيرة لا يعرف الأمير أحمد ؟! .. من في المدينة الكبيرة لم يلتق بالأمير أحمد ؟! .. لا أحد بالطبع .. فجميع أهل المدينة الكبيرة يعرفونه جيداً .. شاب أنيق ، يقود سيارته الفخمة ، بينما يجلس إلى جواره في المقعد الأمامي طفل لم يتعد الثالثة من عمره يجلس كالملاك الوديع .

يتوقف الأمير بسيارته بمجرد مشاهدته مجموعة من السابلة أو أحد من أصحاب المحلات .. يطل برأسه من نافذة السيارة .. يبدو أنه يسأله عن أمر هام .. إشارات اليدين والحركة من السابلة توحي أن الرد كان بالنفي دائماً .. يتحرك الأمير بسيارته محبطاً مكفهر الوجه .. لا يلبث أن يصرخ بصوت مدوٍ يتردد في أرجاء المدينة كلها :

- فاطمة .. فاطمة .. فاطمممممممممممممة ..

* * *

.. إلى المدينة الكبيرة وصلت .. برفقة مجموعة من الفتيات من بنات جلدتها .. بيضاء ناصعة كالثلج هي .. رقيقة كالنسمة .. خفيفة كالفراشة .. حلوة كالشهد .. جميلة كالقمر . طفلة كبيرة .. أو امرأة صغيرة .. لم تتعد الثامنة عشرة من عمرها .. من " موسكو " العاصمة هي .. حضرت مع بعض صديقاتها الروسيات بعد أن تم تعاقدهن مع " الرجل الأنيق " للعمل .. " سكرتيرات " .. موظفات استقبال في الفنادق الراقية .. مربيات أطفال لدى بيوت الأمراء والأثرياء .. موظفات بيع في المحلات التجارية الكبرى . كان هذا هو العمل الذي تم التعاقد عليه معهن ، ولكن العمل الحقيقي كان شيئاً آخر لا يمت إلى هذا وذاك بصلة .

ما إن وصلت المحطة الأخيرة .. حتى كان في استقبالهن زمرة من المشايخ ذوي اللحى الطويلة والعباءات المقصبة المذهبة المدلاة والابتسامات الخبيثة والنظرات المتلهفة .

ما إن أنقد كلاً منهم رزمة ضخمة من الأوراق النقدية لـ " الرجل الأنيق " حتى اندفع نحو فتاته التي اختارها من بين الصبايا .. وراح يشدها من يدها بغلظة وفظاظة .. بينما الرغبة الجامحة تسيل مع لعابه المنهمر من فمه المخيف .

ظنت " فالنتينا " أن الرجل ذو اللحية الكثة والعباءة المقصبة المذهبة المدلاة واللعاب المنهمر .. ظنته رب العمل .. تماماً كما اعتقدت بقية الفتيات ذلك عندما هجم عليهن ذوي العباءات المزركشة المقصبة والمذهبة المدلاة .

قادها بجلافة وصلف كأنه يقود الحمل أو الجمل نحو السيارة الأمريكية " آخر موديل " .. أجلسها في المقعد الخلفي للسيارة .. لم يجلس في المقعد الأمامي إلى جانب السائق .. جلس إلى جانب الفتاة .. التصق بها .. بإشارة خاصة من حاجبيه كان السائق يتحرك بسرعة .. سال لعاب ذي اللحية والعباءة وهو يمد يده ناحية فخذ الصبية الأملس الرقيق .. ابتسمت الفتاة رغماً عنها وهي تحاول إبعاد يده الخشنة عن ساقها البضة برفق .. أحس أن شيئاً من كرامته ورجولته قد مست .. هجم على الفتاة يحاول ضمها وتقبيلها .. مد يده الخشنة داخل صدرها وراح يعبث بمحتوياته بقوة وعنف كالمحموم .. سال لعابه على وجهها وصدرها .. فبلل رداءها الجميل المتواضع .. في نفس اللحظة التي كان يبلل فيها سرواله الداخلي والخارجي؟.

هدأ قليلاً وهو يمصمص شفتيه وشفتيها .. حاولت أن تبعده أكثر من مرة اتقاءً لرائحته الكريهة ولحيته الغريبة ولعابه المنهمر .. ضغط على فخذها بقوة .. تأوهت برقة فزادت الرغبة لديه من جديد .. اندفع كالحيوان الجامح ينقض على فريسته .. أمر السائق بإسدال الستائر على نوافذ السيارة ، راح يخلع عباءته عن جسده .. وراح يحاول أن يجرد الفتاة من ملابسها ؟ .. بإشارة أخرى كان السائق يغلق أبواب السيارة ويرفع الزجاج حتى لا يدع مجالاً للفتاة بالهرب ، وإمعاناً في الحيطة زاد من سرعة السيارة ووضع شريط مسجل صاخب في الجهاز .

راح يحتضن الفتاة شبه العارية وينهمر عليها بالقبل بينما راحتاه وأصابعه تعبثان في سائر الجسد البض رغم تمنع الفتاة واحتجاجاتها وصرخاتها المكتومة والمدوية .. بلل ذو اللحية الكثة والعباءة المقصبة المذهبة المدلاة واللعاب المنهمر ثياب الفتاة بلعابه ، وبلل سرواله الداخلي والخارجي عدة مرات ؟! .

بعد لحظات كان ذو اللحية يهدأ شيئاً فشيئاً .. وراح جسده يتراخى تدريجياً وتتراخى راحتاه عن جسد الفتاة .. ثم راح في سبات نوم عميق وارتفع شخيره ليملأ المكان .

راحت الفتاة تلملم شتات نفسها المبعثرة وتلملم ملابسها المتناثرة ، محاولة ارتداءها بعد ان كانت شبه عارية وبعد أن أحست أن صدرها يتمزق ويلتهب من آثار اليدين الخشنتين والتين كانتا تمزقان الجسد والصدر بوحشية .. أخذت تبكي وتئن كطفلة صغيرة فقدت شيئاً عزيزاً عليها .. راحت تلملم شتات نفسها وأشياءها بانكسار وذلة .

وصلت السيارة إلى بوابة كبيرة ، قام السائق بفتحها عن طريق " الريموت كونترول " .. دخلت السيارة إلى المكان الفسيح الذي يشبه الحديقة أو الغابة .. قاد السائق سيارته طويلاً حتى وصل القصر المنيف الذي يتوسط الحديقة .. ترجل السائق من أمام المقود ، صمت للحظات وكأنه يخشى أن يوقظ الرجل ذو اللحية من سبات نومه .. تململ ذو اللحية .. تثاءب .. تمطى .. أصدر أصواتاً غريباً وهو يخرج رياحاً متعاقبة من أسفل ؟ .. سارع السائق لفتح الباب الخلفي للسيارة بنفسه وهو الذي يستطيع أن يفعل ذلك وهو جالس أمام المقود من خلال الأزرار العديدة التي أمامه .. تلقى إشارة معينة من الرجل ذو اللحية والعباءة واللعاب ، أمسك الفتاة بقوة وصلف .. طوقها بساعديه القويتين محاولاً إخراجها من المقعد الخلفي للسيارة ، كان يتعمد الاحتكاك بها وضمها ومحاولة تقبيلها وهو يقوم بالمهمة بينما الرجل ذو اللحية والعباءة واللعاب يراقب الأمر بابتسامة بلهاء وهدوء غريب .

تمكن السائق بعد عدة محاولات من انتزاع الفتاة من المقعد وحملها بين ذراعيه كطفلة صغيرة وانطلق بها إلى داخل القصر المنيف .

ألقى السائق بالفتاة إلى سرير فخم في الحجرة الأنيقة والمؤثثة بالأثاث باهظ الثمن .. راح يجردها من ملابسها بعنف وفظاظة رغم محاولاتها اليائسة في الدفاع عن نفسها حسب قوتها المتواضعة . بعد لحظات كان قد جردها من ملابسها الخارجية والداخلية بتمزيقها بعنف وعصبية بعد أن استعصى عليه تجريدها منها بدون اللجوء إلى العنف والتمزيق .

كانت خطوات ذو اللحية والعباءة واللعاب تقترب من المكان رويداً رويداً .. وقبل وصوله إلى الحجرة كان السائق قد أنهى مهمته مع الفتاة بتجريدها من ثيابها ، أحس أن لديه بعض المتسع من الوقت فانقض عليها وراح يقبلها في شتى أنحاء جسدها ويعمل يديه عبثاً في جسدها .

لم يلبث ذو اللحية والعباءة واللعاب أن وصل الحجرة .. دفع الباب بقدمه بقوة .. رأى السائق في ذلك الوضع .. راح يسب ويلعن ويشتم ويصرخ به بحنق وغيظ ..هرول السائق من المكان محاولاً الهروب إلى الخارج منكساً رأسه مفسحاً المجال لسيده .. فلما اقترب من باب الحجرة بصق عليه ذي اللحية بقوة وعنف فلم يرفع السائق عينيه عن الأرض وهرول مغادراً المكان .

نظر ذو اللحية والعباءة واللعاب إلى فريسته المسجاة على السرير الحريري ، فابتسم ابتسامة الذئب الذي ينوي الانقضاض على فريسته .. راح يخلع عباءته المقصبة المذهبة المدلاة.. وسرواله المبلل .. وثوبه الموشى بالذهب الخالص .. وثيابه الداخلية .. إلى أن تجرد تماماً من ملابسه .. مال ناحية دولاب الملابس .. أخرج منه علبة صغيرة .. تناول منها بعض الأشياء .. وضعها في فمه بلذة غامرة .. نظرت الفتاة ناحية الرجل فهالها بشاعة مشهده وسوء منظره وهو مجرد من الثياب هكذا ، تصورته الشيطان ذاته .. دفنت رأسها في الفراش حتى تتلاشى النظر إلى ذلك المشهد المريع .

اندفع الرجل نحوها اندفاع الشيطان .. ألقى بجسده العاري فوق جسدها البض .. صدرت عنها صرخة رعب وخوف وأنة ألم .. حاولت إبعاده عن جسدها .. تمكنت من ذلك بعد عدة محاولات مستميتة .. في المحاولة الأخيرة كانت تدفع بالرجل إلى جانب السرير .. يبدو أن الدفعة كانت قوية بعض الشيء ، فسقط الرجل على الأرض بلا حراك .

صعقت الفتاة .. ارتعشت .. ارتعدت .. تملكها الخوف والجزع .. اقتربت من جثة الرجل .. تأكدت أنه يتنفس بصعوبة.. جزعت .. سارعت إلى بقايا ملابسها الممزقة المهلهلة ووضعتها على جسدها .. وجدت أنها لا تستر الجسد .. مالت نحو العباءة وارتدتها فوق الثياب المهلهلة .. تلفتت حولها عدة مرات .. فتحت باب الحجرة .. سارعت بالمغادرة .

خرجت لا تلوي على شيء .. لا تدري إلى أين تذهب .. خرجت من القصر .. أخذت تعدو ناحية البوابة الخارجية.. حاولت فتحها دون جدوى .. قررت أن تتسلق السور والانطلاق إلى الخارج ..

أخذت تعدو بكل ما أوتيت من قوة .. أو بما تبقى بها من قوة .. محاولة الابتعاد عن المكان بقدر الإمكان .. تتلفت إلى الوراء بين الفينة والأخرى وكأنها تحس أن أحداً ما يلاحقها .

الوقت متأخر جداً .. الساعة ما بعد الواحدة ليلاً .. الشوارع شبه خاليه أو لعلها كذلك .. المنطقة شبه نائية أو هي كذلك .. السيارات معدومة على الطريق .. أخذت

تعدو وتعدو بدون هدف .. فكل همها أن تبتعد عن المكان المشؤوم وعن ذي اللحية والعباءة واللعاب .

جزعت وهي تسمع صوت فرملة مكابح سيارة إلى جانبها .. استمرت في العدو دون أن تنظر إلى مصدر الصوت .. استمرت السيارة تلاحقها .. جزعت .. ارتعشت .. اعتقدت أنه سائق سيارة ذو اللحية والعباءة واللعاب .. نظرت نحو السيارة .. تأكدت أنها ليست هي .. استمرت في العدو .. استمرت السيارة في الملاحقة .

تعثرت بطرف العباءة المدلاة .. سقطت على الأرض بقوة .. أغمى عليها .. انزلقت العباءة عنها .. انكشف جسدها الذي لا تغطيه سوى الثياب المهلهلة ..توقفت السيارة .. ترجل منها شاب .. اقترب من الفتاة .. حملها بين ذراعيه .. وضعها في المقعد الخلفي للسيارة .. غطاها بالعباءة جيداً .. ستر الجسد .. ركب السيارة .. قادها بسرعة مبتعداً عن المكان .

* * *

تململت الفتاة .. أفاقت من الغيبوبة .. هتفت بالروسية بصوت متحشرج تخنقه العبرات :

- ماما .. أين أنت ماما .. ماما ..

تلفت الشاب الذي يقود السيارة نحوها .. أحس بما تعانيه الفتاة .. هتف بها برقة بالروسية :

- أرجوكِ .. لا تنزعجي يا عزيزتي ..

يبدو أن عبارته قد أفاقتها جيداً من الإغماءة .. اعتدلت في جلستها في المقعد الخلفي للسيارة .. نظرت نحو الشاب بجزع .. هتفت بصوت متحشرج مجهد :

- أرجوك .. دعني وشأني .. دعني أترجل من السيارة .. أريد العودة إلى أمي .. إلى موسكو .. فوراً .. الآن ..

ثم أجهشت بالبكاء المر الأليم .. أحس الشاب بما تكابده الفتاة من معاناة والم .. راح يخفف عنها بصوت رقيق مهذب :

- أرجوكِ .. لا تنزعجي يا عزيزتي ..سوف أعيدك إلى أمك .. إلى موسكو .. فقط .. أرجو أن تهدئي قليلاً .

راحت تبكي بشدة بصوت مرتفع كطفلة صغيرة .. راح جسدها يهتز ويرتعش .. بد التأثر والاضطراب عليها واضحاً جلياً .. هتفت من بين الدموع والأنين :

- ماما .. أين أنت ماما ؟ .. لا أريد العمل .. لا أريد .. أريدك أنت ماما .

حاول أن يلاطفها بالحديث بقدر الإمكان .. بعد محاولات هدأت الفتاة قليلاً .. هتفت بصوت ممزق :

- لماذا تفعلون بنا هكذا ؟

فوجئ بالسؤال الغريب .. لم يدر ماذا تقصد الفتاة بالسؤال .. هتف بها برقة :

- ماذا فعلنا يا عزيزتي ؟ .. ومن الذي فعل ؟
- الشيخ .. ذور اللحية الكثة .. والعباءة المقصبة المذهبة المدلاة .. واللعاب المنهمر .
- ما شأن هذا الشيخ يا تري ؟
- كاد أن يفترسني .. حسبته وحش يريد افتراسي والتهامي .. لقد قالت لي أمي أنكم متوحشون .. تأكلون بني البشر .. فلم اصدقها .. ولكن يبدو أن أمي كانت صادقة .
- ولكنه على كل حال لم يفترسك .. والدليل أنك ما زلت حية .
- أنت تتحدث الروسية جيداً ؟
- ببساطة .. لأنني تعلمت في روسيا .. في موسكو بالذات .
- موسكو .. أوه .. ماما .. أين أنت ماما .. أريدك حالاً ماما .. أنا بحاجة إليك ماما .
- اهدئي قليلاً .. وسوف أحاول إعادتك إلى موسكو .
- حالاً .. حالاً ..
- حالاً يا عزيزتي .. فقط دعين أقوم بواجب الضيافة .
- لقد رأيت بنفسي كيف تقدمون واجب الضيافة عنكم ..
- أين ؟
- عند الشيخ ذو اللحية الكثة البشعة والعباءة المقصبة المذهبة المدلاة واللعاب المنهمر
- لا بد وأنه عجوز مراهق .
- لقد رأيته يدفع لـ " الرجل الأنيق " رزمة من الأوراق النقدية ولم أكن أحسب بأنها ثمني .. يبدو أن لديكم الكثير جداً من الأوراق النقدية التي لا تحتاجون إليها .. لقد اشتراني .. أرادني عبدة ..

لقد أفهمتني أمي بأنكم تتاجرون بالرق .. تشترون العبيد السود .. ولكن يبدو أنني كنت عبدة بيضاء هذه المرة .

- لماذا أتيت من موسكو إلى هنا ؟
- للعمل .. كما أفهمني " الرجل الأنيق " .. وليس للدعارة كما أراد الشيخ ذو اللحية .
- متى وصلت من موسكو ؟

- قبيل محاولة افتراسي بساعات قليلة .. لعلها كانت وليمة الاستقبال عندكم .. ولكن .. من أنت ؟
- أنا .. أوه .. .. أنا أدعى الأمير أحمد .. ليس من الأمراء الأثرياء جداً .. ولكن من الأمراء الأقل ثراءً .. يعني ببساطة .. المليونير الفقير ..
- هاها .. أمير .. فقير ؟ .. هذه أول مرة أعرف أن الأمير يكون فقيراً .. فالأمراء دائماً هم الأغنياء .
- جيد أنك تضحكين .. جيد أن أتعرف إليك أيضاً .
- ولكن .. إلى أين ستذهب بي الآن ؟
- إلى قصري .. قصري المتواضع .. فهو ليس قصراً منيفاً على كل حال .
- هل لديك محظيات .. حريم .. نساء ؟
- ليس لدي أي شيء من هذا أو ذاك .. حتى أنني لست متزوجاً .. ولا يوجد في قصري المتواضع من نساء سوى أمي .. وشقيقاتي .
- عربي .. أمير .. ثري .. وليس لديه نساء ؟
- إنها أفكار ملفقة .. خاطئة ..
- والرجل ذو اللحية البشعة .. والعباءة المدلاة .. واللعاب المنهمر ؟!
- حالة .. حالة شاذة .. ولكن . ما اسمك ؟!
- " فالنتينا " ..
- أوه .. لعلك " فالنتينا تريشكوفا " رائدة الفضاء الروسية .
- بل " فالنتينا ميخائيل " ..
- فالنتينا " .. هل توافقين ؟!
- على ماذا ؟!
- أن تتزوجيني ؟

لحظات صمت سيطرت على المكان .. أطرقت الفتاة قليلاً .. رفعت رأسها .. تمتمت :

- أمير أحمد .. هل أنت مسيحي ؟!
- مسلم .. مسلم يا عزيزتي ..
- والرجل ذو اللحية البشعة ..
- مسلم أيضاً ..
- ولكنك ليس مثله .
- ليس كل المسلمين سواء .
- ورغم ذلك .. فإنه لا يمكن ..

- لماذا ؟!
- لأنني مسيحية .
- الأمر بمنتهى البساطة يا عزيزتي .. تشهرين إسلامك فينتهي الأمر .. أو أن تظلي على دينك فـ
" لا إكراه في الدين " ..
- ماذا عليّ أن أقول لأشهر إسلامي ؟
- أشهد ان لا إله إلا الله .. واشهد أن محمداً رسول الله .

صمتت لحظات .. أطرقت .. تمتمت :

- دعني أفكر في الأمر .. والآن إلى أين تريد ان تذهب بي ؟!
- إلى قصري المتواضع .. حيث أمي وشقيقاتي ..
- هل هو من قصور " ألف ليلة وليلة " ؟!
- ومن أعلمك بأمر " ألف ليلة وليلة " ؟!
- قرأتها أمي على مسامعي ذات مرة .. وقرأتها عدة مرات .. مترجمة إلى الروسية .. لقد استمتعت بها جيداً .
- قصري ليس من قصور ألف ليلة وليلة .. ولكنها من قصور ليلة فقط .
- شوقتني جداً لرؤية قصر ليلة هذا .. ورؤية أمك وشقيقاتك .. هل هن جميلات ؟!
- ستحكمين على ذلك بنفسك .

وصلت السيارة إلى منطقة بنيت فيها العديد من القصور المنيفة .. ويبدو انها منطقة قصور الأمراء .. لم يلبث الأمير أحمد أن هتف وهو يترجل من السيارة :

- ها قد وصلنا .. تفضلي إلى قصرك المتواضع .. سيدتي الأميرة ..

ترجلت من السيارة .. حاول أن يسندها .. راح يغطي جسدها شبه العاري بالعباءة المدلاة .

* * *

- أشهد أن لا إله إلا الله ... وأشهد أن محمداً رسول الله .

كانت " فالنتينا " تنطق بالشهادة بلكنتها الروسية أمام القاضي والشهود .. صفق الجميع .. راحوا يهنئونها ويهنئون الأمير أحمد .. وتمت إجراءات مراسم الزواج حسب الشريعة الإسلامية .

مرت الأيام .. الشهور .. السنين .. عشا في حب وسعادة .. أثمر الزواج عن طفل كالبدر .. فكانت سعادتهما به لا توصف .

نما الطفل وترعرع .. أخذ يحبو .. يمشي .. يلهو .. يمرح .. حتى بلغ ربيعه الثالث في كنف والديه وجدته وعماته .

- " فالنتينا " .. إنني أنوي أمراً أريد رأيك فيه .
- ما هو يا عزيزي ؟
- ألا تذكرين رغبتك الملحة في اللقاء الأول بيننا ؟
- ما هو ؟!
- موسكو .. ماما ؟
- ما بهما ؟!
- إنني وعلى ما أذكر .. كانت لديك رغبة عارمة وشديدة في العودة إلى موسكو .. العودة إلى ماما
- أنت موسكو .. أنت روسيا .. أنت العالم .. أمك هي ماما .. ماما كل العالم .. بعطفك ورقتك وحبك نسيت موسكو .. نسيت ماما .. نسيت الدنيا .
- ولكني لم انس .
- وماذا تود أن تفعل ؟!
- أن نسافر سوياً .. أنت .. وأنا .. وطفلنا .. ولا شك بأنهم سيسعدون بلقاء ابنتهم بعد طول غياب وزوج ابنتهم وطفل ابنتهم .

* * *

سافر الجميع إلى موسكو .. وصلوا بعد رحلة جوية طويلة من الكويت .. كان الأمير أحمد قد جهز الهدايا القيمة .. باهظة الثمن والتي تليق بعطايا الملوك والأمراء .. حمل معه ما خف حمله وغلا ثمنه من مجوهرات ودرر نفيسة وهدايا عديدة ليقدمها جميعاً هدايا لعائلة " فالنتينا " .

استقل الجميع سيارة من المطار أوصلتهم إلى المنزل في إحدى ضواحي موسكو ، كانت " فالنتينا " سعيدة .. مسرورة .. جذلة .. تضحك كطفلة .. تبتسم .. تتنفس بعمق .. تشرح لزوجا الأمير معالم وآثار المدينة الكبيرة وكأنها غادرتها بالأمس .. تضم طفلها إلى صدرها .. قلبها .. تعانقه .. تقبله بحب وسعادة .

" موسكو " لم تتغير رغم غيابها عنها طوال أربع سنوات .. شاركها زوجها الأمير الابتسامات .. الضحكات .. التعليقات .. هو أيضاً لم ينس " موسكو " .. فهو يعرفها جيداً لأنه تلقى تعليمه الجامعي فيها طوال سنوات عديدة .

إلى المنزل وصلوا جميعاً .. الفرحة الغامرة تسيطر على حواسهم وتتملك أنفسهم .. قرعت الباب برقة .. بهدوء .. بقوة .. وضعت أصبعها على زر الجرس الكهربائي .. راحت تضغط بقوة .. تدق بعنف .. انفرج الباب أخيرة عن امرأة في الأربعينات .. النسخة

الأصلية لـ " فالنتينا " .. شهقت المرأة عندما وقع بصرها على " فالنتينا " .. ألقت الفتاة نفسها إلى أحضان المرأة .. أجهشتا بالبكاء الممزوج بالضحك ؟! .. دموع الفرحة انهمرت من العيون .. قدمت لها زوجها .. قدمت المرأة لزوجها .. إنها أمها .. قدمت طفلها الجميل كالملائكة .. صافحت الأم " الأمير " .. ضمت الطفل بسعادة .. دعتهم إلى دخول المنزل .. صوت أجش عن بعد يسأل عن القادم .. تعلمه المرأة أنها ابنتهما " فالنتينا " .. ينهض الرجل بتثاقل .. يصل ناحية الجميع .. تلقي الفتاة بنفسها إلى صدره .. تعانقه .. تبكي بسعادة .. يضمها الرجل إلى صدره .. يقبلها بفرح وهو يتمتم بكلمات متداخلة .

تقدم له الفتاة زوجها الأمير أحمد وابنهما .. يصافحه الرجل ويضم الطفل .. يجلسان قليلاً .. تحضر الأم أكواب الشراب الساخن بسرعة .. يرتشف الجميع الشراب اللذيذ ليعيد إلى أجسامهم شيئاً من الدفء .

أثناء تناول الشراب يسال الأب عن جنسية الأمير .. يسارع الأمير إلى تقديم هداياه الثمينة للأب والأم والأولاد الذين انضموا إلى المجلس .. يعرفهم بنفسه .. يعلمهم أنه أحد الأمراء في الكويت .. تشهد هداياه وهندامه وذوقه وحديثه على ذلك .. تمتد الأيدي بلهفة نحو الهدايا .. يتابع الأب أسئلته ..

- ماذا لا تعلق الصليب في صدرك ؟!

يشده الأمير للسؤال المباغت :

- عفواً .. لا يجوز لي أن أفعل مثل ذلك الأمر .. فأنا مسلم .

تتوقف الأيدي عن تقليب الهدايا واحتساء الشراب .. يتكهرب الجو .. يسود الوجوم على الجميع .. يتمتم الأب بصوت مضطرب :

- إذن .. فأنت مسلم ؟!
- نعم يا سيدي ..

تندفع " فالنتينا " بمرح طفولي وبراءة ..-

- وأنا كذلك يا بابا .. أنا أيضاً مسلمة .. فلقد أشهرت إسلامي عند الزواج من الأمير .

يقع الكوب من يد الأب .. تشهق الأم .. يجحظ الأبناء .. يزوم الأب بعنف :

- أصبحت أيضاً مسلمة " فالنتينا " ؟!
- وأصبح اسمي " فاطمة "
- حسناً .. هذا شيء رائع !!

انسحب الأب .. أعطى إشارة لزوجته وللأولاد .. انسحبوا جميعاً من المكان .. تركوا الأمير وزوجته وطفلهما في المكان .. همست " فالنتينا " لزوجها الأمير :

- لا بد وانهم يعدون لنا مفاجأة ..

غابوا للحظات ثم ..

* * *

اندفع إلى المكان ثلة من الشباب ذوي العضلات المفتولة .. انقضوا على الأمير .. أوسعوه لكماً وركلاً .. انقضوا على الفتاة .. أوثقوها بالحبال .. صرخ الطفل ببكاء مر اليم .. حاول الأمير إيقاف المهزلة .. حاول أن يفهمهم بأنه لا بد وأن حدث هناك سوء تفاهم ما .. حاول أن يناقشهم .. زادت اللكمات والركلات .. أوثقوه بالحبال .. شدوا وثاقه إلى منضدة كبيرة .. غادروا المكان وهم يسحبون الفتاة الموثوقة بالحبال .. بينما حمل أحدهم الطفل الباكي .

ثلاثة أيام بلياليها قضاها الأمير موثوق اليدين والقدمين ، مثبت إلى المنضدة الكبيرة .. لم يقدموا له سوى اليسير من الماء خلال فترات متباعدة .. عصبوا عينيه .. لم يسمحوا له بالوصول إلى دورات المياه لقضاء الحاجة .

في اليوم الرابع .. حضر ذوي العضلات المفتولة .. فكوا وثاقه .. تحدث إليه أحدهم مزمجراً :

- عد فوراً إلى الكويت .

استطاع أن يفتح فمه بالكاد :

- أين زوجتي ؟ .. أين طفلي ؟ .
- لا زوجة لك عندنا .. الا يكفي ما فعلته بها .. وبنا ؟!
- لم افعل سوى كل أمر غيجابي ..
- لقد فعلت شيئاً عظيماً ؟؟!! .. واقترفت إثماً كبيراً .. كيف تتزوج من ابنتنا المسيحية وأنت المسلم ؟! .. ثم تكرهها على اعتناق الإسلام ؟!
- لم اكرهها .. هي التي اختارت .. بإرادتها الحرة .
- كل شيء انتهى .. هي عادت إلى وطنها ودينها .. عادت إلى رشدها .. وأنت يجب أن تعود إلى رشدك .. إلى وطنك ودينك .. واحمد الله بأننا لم نقتلك .. شفقة بك فحسب ..
- لقد تزوجتها على سنة الله ورسوله .. بالحلال .. وهي التي كانت ستضيع في شوارع الكويت .. كان يمكن ببساطة أن تكون " غانية " .. داعرة .. فاسقة .
- هذا أفضل بكثير مما فعلته بنا ؟!
- لم افعل سوى أن تزوجتها .. حسب الشرع ..
- أن تضيع مئة مرة أفضل عندنا من أن تتزوج من مسلم !
- إلى هذا الحد ؟!

- وأكثر .. والآن .. اغرب عن وجهنا حالاً .. وإياك أن تبقى لحظة في موسكو .. أو في روسيا كلها .. إياك أن تقول أن لك زوجة .. وإذا حدث ذلك فسوف تكون نهايتك قد أزفت بالتأكيد .
- إنها زوجتي .. على سنة الله ورسوله .. إنه طفلي الشرعي .
- الطفل لك .. ولكن " فالنتينا " فهي لنا .

سرعان ما كان يدخل إلى المكان رجل عملاق يحمل الطفل الباكي .. يقذف به ناحية الأمير :

- ها هو طفلك .. خذه وانصرف من هنا حالاً ..
- أرجوكم .. أريد أن أرى " فاطمة " زوجتي ..
- لا يوجد فتاة بهذا الاسم ..
- دعوني أودعها فقط .
- لن نسمح لك بذلك .. هيا انصرف من هنا قبل أن نغير رأينا ونقتلك .. هيا .. انصرف ..

دفعوه إلى الخارج .. سار متمايلاً .. يحمل طفله على صدره والدموع في عينيه والهموم في قلبه .. طردوه إلى خارج المكان بعنف .. وصل إلى مسامعه وهو يغادر المكان أنين مكتوم وبكاء مخنوق .. راح يصرخ بصوت مدوٍ ..

" فاطمة ... " فاطمة " ... " فاطمة " ..

* * *

((البعبـــــــــع))

تنويه : إذا تصادف انطباق شخصية بطل النص على احد ما ... فانا بالضرورة لا أقصده .

كاد أن يطلق عليه الجميع لقب " أبو القبلات " .. أو لعلهم قد فعلوا ذلك .. هم لم يفعلوا ذلك من فراغ .. أو بطريقة عشوائية .. فالرجل كان يهوى .. بل ويعشق " التقبيل " .. ويؤمن بها سياسة ناجعة إلى حد كبير في علاقاته الاجتماعية متعددة الجوانب .

لم يكن الرجل يتوان لحظة عن الاندفاع نحو أي شخص يلتقيه .. متجاوزاً عملية المصافحة باليد إلى التقبيل مباشرة .. ومتجاوزاً كل الخطوط الحمر فيما لو كان الأمر يتعلق بامرأة ؟؟!! .

الرجل .. يبدو وكأنه بصدد الدخول إلى معركة انتخابية في كل لحظة ؟؟!! .. بل لعله كان يعد لها سلفاً وبشكل مدروس ؟؟!! .

لم يتوقف الرجل عن عادته تلك .. والتي أصبحت جزءاً متمماً لشخصيته .. بل لعلها الجزء الأهم في شخصيته وحياته .

لم يتوقف الرجل عن عادته تلك عن طيب خاطر ، بل توقف عنها مكرهاً .. وهو الذي كان يعتبرها أهم عنصر في " البرستيج " الخاص بشخصه .. والمتمم الطبيعي لأناقته المتناهية .. وزينته المبتذلة .. ورقته المفتعلة ..

توقف عن " التقبيل " في البداية مكرهاً ... واكتفى بالسلام والمصافحة باليد .. ولسان حاله يقول ... وخاصة عندما يصافح امرأة : " أليس من قبلة ؟؟!! .. " ساق الله على أيام زمان ؟؟!! " .

ما هي سوى فترة وجيزة أخرى .. حتى كاد الرجل أن يتوقف عن تأدية السلام والمصافحة باليد .. بعد أن رسخت في ذهنه فكرة احتمالية انتقال العدوى إليه من أحد المصافحين .. والذين – يحتمل – إصابتهم بالمرض ؟؟!! .. رغم اتخاذه جانب .. بل كل جوانب الحيطة والحذر المتناهية .. وبلا حدود .

فزجاجات العطر و " الكولونيا " الفاخرة لا تفارق جيبه .. بل جيوبه .. يخرجها بين الفينة والأخرى ليضع منها كميات لا بأس بها على يديه ، بعد كل مصافحة ومصافحة ؟؟!! .

جيوبه الداخلية .. ملأى بشتى أنواع العلاجات والأدوية والمقويات والمضادات الحيوية .. يتناولها كلما مر الهاجس في ذهنه .. وكلما مر في خاطره شبح انتقال المرض إليه.

ثم توقف عن السلام والمصافحة باليد .. اكتفى بالتحية والتلويح باليد عن بعد .. آثر الابتعاد والانزواء عن الجميع خشية انتقال العدوى اللعينة إليه .

اشترى كميات كبيرة من المواد التي تؤخذ ساخنة .. والمواد الطبية الأخرى .. والأعشاب الطبية .. وكدسها في المنزل .. وراح يتعاطاها بشكل غريب .. فأحدث شحاً في هذه المواد من السوق .. مما أدى إلى ارتفاع أسعارها أضعافاً مضاعفة ؟؟!!

لم يعد يشارك القوم أفراحهم وأتراحهم .. ولم يعد يشاركهم الاجتماعات والمناسبات المختلفة خشية تسرب الفيروس اللعين إلى أنفه وخياشيمه ؟؟!

ابتاع كمية كبيرة من " الكمامات " وجمعها من الصيدليات ومخازن الأدوية وكدسها في بيته لتشكل هرماً متواضعاً غريباً ؟؟!!

اعتزل الصلاة في المسجد خشية انتقال العدوى إليه من المصلين .. وآثر الصلاة في المنزل .. ثم لم يلبث أن تركها بعد أن تحسب من انتقال العدوى إليه من " سجادة الصلاة " ؟؟!!

كان مشهده أكثر من غريب وهو يسير في طرقات الحيّ شاحب الوجه .. وقد غربت الابتسامة عن وجهه ، وحل محلها الهم والحزن والكمد .

كان يضع على أنفه وفمه أكثر من " كمامة " ؟؟!! ليطمئن إلى عدم نفاذ الفيروس اللعين إلى أنفه وخياشيمه ؟؟!!

يبتعد عن أي شخص يحاول الاقتراب منه .. لا ليقبله .. أو ليصافحه .. بل ليحييه .. مجرد تحية .. فيكتفي بتحيته عن بعد على عجالة .. وقد حاول كل جهده الابتعاد عنه بما فيه الكفاية ؟؟!! ثم يخرج زجاجة العطر من أحد جيوبه العديدة ويدلقها بين يديه ؟؟!! .

في مرحلة متقدمة .. آثر الانزواء في المنزل .. وفضل عدم الاحتكاك بالجميع خشية انتقال العدوى إليه ..

كان يطلب من زوجته وأولاده .. أن يقوموا بتنظيف حجرة نومه بكافة أنواع المطهرات .. ومواد التنظيف باهظة الثمن .. ثم يتولى تعطير جو الحجرة بشتى أنواع " معطر الجو " المستورد من أرقى دور الصناعة الغربية ؟؟!! .

في البداية .. أحس الرجل بآلام خفيفة في أنفه .. وما يشبه دبيب النمل .. ثم لم يلبث أن انتقل إلى خياشيمه ؟؟!!

تأكد بأن الطامة الكبرى قد ألمت به .. وأحس بأن يوم القيامة قد أزف ؟!.

استدعى كبار الأطباء إلى منزله .. فأحال حجرة النوم إلى حجرة تمريض .. أشبه ما تكون بمشفىً صغير ؟؟!! ... بعد أن رفض الانتقال إلى مستشفى المدينة ؟؟!!

الأطباء بدورهم لم يدخروا جهداً في النصح والإرشاد .. بالنصائح العديدة المتوالية .. و " الروشتات " المتتالية .. وبالأدوية عالية القيمة .. غالية الثمن كطلب المريض في كل الأحوال ؟! .

بدا الرجل شاحباً .. حزيناً .. هزيلاً .. تجسد له الهاجس بأنه قد أصيب بالفيروس اللعين .. رغم كل الاحتياطات التي قام بها .. وأن الفيروس لا محالة قد توطن في أنفه وخياشيمه وجهازه التنفسي .. فأصيب بالهلع .. وحل به الجزع .. واستبد به الخوف .

أصيب الرجل بالهوس ... راح يتناول شتى أنواع الأدوية باهظة الثمن ..

" الكمامة " بدورها لا تمكث سوى عدة دقائق على أنفه وفمه .. ثم يلقي بها بعيداً في سلة المهملات " المعقمة " ليضع كمامة أخرى على أنفه وفمه بعد أن يعقم يديه بكميات كبيرة من المواد المطهرة والعطور المستوردة .. ثم يكرر العملية باستمرار ..

شعر بأن العلاج لا يأتِ بالنتائج المرجوة .. فلقد ازداد به الهزال .. والشحوب .. والضعف .. وأحس بأنه هالك لا محالة .

طرأت إلى ذهنه المرهق فكرة .. راح يعمل على تحقيقها فوراً .. فلقد توصل على قناعة ذاتية بأن الأطباء المحليين غير ناضجين .. غير مؤهلين لعلاج مثل هذه الحالات .. وكذلك فإن هذا الدواء .. غير ناجع كعلاج على الإطلاق ؟؟!!

سيطرت عليه فكرة السفر والانتقال إلى الداخل .. حيث الطب والأطباء الذين هم على مستوىً عالٍ جداً من الدراية والخبرة والعلم .. وحيث الدواء الناجع الشافي .

الإجراءات الروتينية السهلة – بالنسبة له بالطبع ؟؟!! – كانت في منتهى اليسر والسهولة .. بعد أن تمت جميع الإجراءات اللازمة للانتقال إلى الداخل .. إلي أحد المشافي الراقية جداً في فلسطين المحتلة ؟؟!! حيث الطب .. الأطباء .. العلاج ..

على المعابر الحدودية بين قطاع غزة المحاصر .. المثقل بالهموم والمرض والحصار اللعين .. وبين فلسطين المحتلة .. كانت الإجراءات بالنسبة له شكلية وأسهل بكثير من أمر انتقال شخص عادي ما بين مكان عمله في مدينة ومكان سكناه الواقع في المدينة ذاتها ؟؟!! .

وصل إلى المستشفى الراقي في المدينة الكبيرة بسيارة إسعاف خاصة .. مجهزة بكل وسائل الراحة والمتابعة .. وتم إدخاله أرقى الأجنحة .. واحتضنه أجمل سرير .. وقام بزيارته الفورية رئيس الأطباء في المستشفى .. ترافقه مجموعة من الأطباء " الطبيبات على وجه التحديد " للكشف والتمريض والمعاينة تمهيداً للبدء في العلاج ..

بعد وقت طويل .. .. بل طويل جداً .. كان الطبيب .. رئيس الأطباء .. يخرج من الحجرة الأنيقة التي يرقد فيها الرجل .. يتوجه إلى مكتبه الفخم مباشرة .. ليشرع في كتابة التقرير الطبي ..

أمسك رئيس الأطباء بالقلم .. وخط على إحدى أوراق المستشفى أمامه ..:

" لم تأت النتيجة النهائية للمريض نتيجة لإصابته بالفيروس .. ولكنه توفى نتيجة لسكتة قلبية مفاجئة ؟؟!!

(البعض يفضلونها .. راقصة)

==========

مقدمة لا بد منها :

عفواً يا حكام العرب .. فأنا لا أقصدكم بنصي هذا ؟؟!!

" البعض يفضلونها ... راقصة !! "

.. ارقصي .. ارقصي .. لا تتوقفي عن الرقص .. استمري في الرقص .. استمري .. لا تقولي بأنك قد مللت الرقص .. لا تقولي بأن الإرهاق قد أصابك ..

ارقصي .. ارقصي ..

لا .. لا أريد أن تحدثيني عما حدث .. فلا يعنيني ما حدث .. لا يهمني .. فكل ما يهمني أن أنتشي برقصاتك المستمرة .. رقصاتك المحمومة .. رقصاتك المجنونة .

ارقصي .. ارقصي ..

لا .. لا تدعي كأسي فارغاً للحظة أبداً .. املئيه بالشراب .. بكل أنواع الشراب .. ليس المهم نوعه .. المهم أن يكون شراباً مسكراً .. والأهم أن تستمري بالرقص ...

ارقصي .. ارقصي ..

لا .. لا أريد أن تسردي على مسامعي قتل الرجال .. النساء .. الأطفال .. العجائز .. فأنا لا أحب أن أستمع لمثل هذه الحكايا الدموية .. أنا لا يهمني أن تموت طفلة .. كل الأطفال .. لا يهمني أن تموت امرأة .. كل النساء .. لا يهمني أن يموت عجوز .. كل العجائز .. المهم عندي فقط .. أن ترقصي ..

ارقصي .. ارقصي ...

لا يهمني أن تخبريني عن هدم البيوت .. كل البيوت .. هدم المساجد .. كل المساجد .. هدم المدارس .. كل المدارس .. هدم المشافي .. كل المشافي .. المهم عندي أن لا تدعي كأسي فارغاً .. والمهم عندي أن لا تتوقفي عن الرقص ..

ارقصي .. ارقصي ..

لا تحدثيني عن تدمير المدينة .. عن حرق المدينة .. لا يهمني أن تحدثيني عن قتل سكان المدينة .. كل سكان المدينة ... لا يهمني أن تصفي لي كيف تم دك المدينة..

كل المدينة .. المنازل .. المساجد .. المدارس .. المشافي .. كل المدينة .. كل ما في المدينة .

ما يهمني أن تملئي الكأس .. كأسي .. بالشراب .. أي شراب .. شرط أن يكون شراباً مسكراً . وشرط ... أن تستمري بالرقص ..

ارقصي .. ارقصي ..

لا تتوقفي عن الرقص .. لا تدّعي التعب .. لا تدّعي الإرهاق .. لا تدّعي الملل .. لا تدّعي النعاس ..

فأنا لم يصبني التعب .. لم يحل بي الإرهاق .. لم يأتني الملل .. ولم يهاجمني النعاس .. فكل هذه الأمور لا تهمني .. المهم عندي أن تستمري .. أن تستمري بملء كأسي بالشراب .. المهم عندي أن تستمري .. أن تستمري بالرقص ..

ارقصي .. ارقصي ..

مالي ومال الحرب المجنونة على غزة .. كل مدن غزة .. مالي ومال أبناء غزة .. كل أبناء مدن غزة .. فلتحترق غزة .. ولتحترق كل مدن غزة .. وليمت كل أبناء غزة .. ولتهدم كل بيوت غزة .. مساجدها .. مدارسها .. فمالي ومال هذه الأمور ؟؟ ..

مالي ومال أن يدك العدو غزة بالصواريخ .. بالقنابل .. بالقذائف .. بالطائرات .. بالدبابات .. بالمدفعية طويلة المدى .. بالبوارج الحربية .. بالفسفور الأبيض .. الأحمر .. الأصفر .. الأزرق .. الأخضر .. فلتحترق غزة .. بكل الألوان .. وبكل الأشكال .. فكل هذا لا يهمني بالمطلق .. المهم عندي أن أستمر بعب الشراب .. وأن تستمري بالرقص .. ارقصي .. ارقصي ...

لا تحدثيني عما يحدث وما يدور في مصر .. أرض الكنانة العريقة .. التي كانت تعرف بأم الدنيا ذات يوم .

في سوريا الحبيبة .. في دمشق التي كانت فيحاء ذات يوم ...

في اليمن الذي كان سعيدا في يوم من الأيام ...

في ليبيا الغالية .. التي كانت ارض السلام ذات يوم ...

في تونس الرائعة .. التي كانت تونس الخضراء ذات يوم ...

في العراق الجريح .. الذي كان أرض العطاء ذات يوم ...

في لبنان الرقيّ والسكينة.. والذي كان يسمى سويسرا الشرق .. أو باريس الشرق ذات يوم ...

في السودان العريق .. الذي كان يسمى سلة الطعام لكل العرب ذات يوم ..

لا تحدثيني كيف استشهد الشيوخ والأطفال .. النساء والرجال .. بالعشرات .. بالمئات .. بالآلاف .. لا تحدثيني كيف تم دك المنازل فوق رؤوس سكانها الآمنين .. لا تحدثيني كيف تم قصف المساجد فوق رؤوس المصلين ..

لا يهمني أن تحدثيني عن القتل .. الحرق .. التدمير .. ما يهمني فحسب .. أن يكون كأسي ممتلئاً عن آخره .. وما يهمني فقط أن تستمري بالرقص .

ارقصي .. ارقصي ..

لماذا توقفت عن الرقص ؟؟ .. لماذا توقفت عن ملء كأسي ؟؟ هل نفذت كل زجاجات الخمر ؟؟ .. هل نفذ إبداعك في الرقص ؟؟ لا .. لا أريد أن تنفذ الزجاجات من الخمر ..ولا أريد أن تفقدي إبداعك في الرقص ..

ارقصي .. ارقصي ..

تعال أيها الكأس .. تعال .. فكم أنا أهوى الكأس ..

تعالي أيتها الغانية .. تعالي .. فكم أنا أهوى الغواني ..

مالك تتوقفين أيتها الغانية ؟؟ .. لا .. لا تقولي بأن الخمر قد نفد .. أن الشراب قد نفد .. عليك أن لا تدعي كأسي هذا فارغاً .. عليك أن تملئيه بالشراب .. بالخمر .. وعليك أن تستمري بالرقص ..

ارقصي .. ارقصي ..

حسناً .. ها أنت تملئين الكأس من جديد .. وها أنت تعودين للرقص من جديد ..

ولكن .. ما بال هذا الشراب بلون مختلف ؟؟!! .. وطعم مختلف ؟؟!! .

سأشرب .. سأشرب محتويات الكأس عن آخرها .. حتى آخر قطرة .

ولتستمري بالرقص حتى آخر زفرة ..

ياله من شراب !! .. ويا له من رقص !! .

شراب مختلف .. رقص مختلف ..

ولكن .. أخبريني .. ما هو نوع هذا الشراب الغريب ؟؟!!

سقطت الراقصة على الأرض وهي تتمتم ببطء شديد :

- إنه دم الشهداء ؟؟!!

((الخطيئـــــــــة))

++++++++++++++++++++++

تنويه :
الأحداث والشخوص حدثت على أرض الواقع .. ولا فضل للكاتب على النص... اللهم سوى الصياغة الأدبية فحسب .

إذا تطابقت الشخوص والأحداث مع البعض على أرض الواقع .. فليس هذا سوى من قبيل المصادقة البحتة...

الكاتب
==========

((الخطيئـــــــــة))
فتحت الممرضة باب " حجرة الكشف " في العيادة الخاصة والابتسامة العريضة تغطي محياها .. أسرعت الخطى ناحية الشاب الذي كان ينتظر في الخارج على أحر من الجمر ؛ بينما كان يقف إلى جانبه أبواه العجوزان . اقتربت الممرضة منهم .. هتفت بسعادة وسرور :
- مبروك ... " الست " حامل ؟؟!!
خيل للشاب بأنه في حلم رهيب ، أحس وكأنه يقاسي آلام كابوس قاتل ، دارت الدنيا من حوله ، هيئ له بأن طبول العالم أجع تقرع في أذنيه دفعة واحدة ، شعر بالدوار المخيف . نظرت الممرضة نحوه ببلاهة ، رددت العبارة مرة أخرى معتقدة بأنه لم يسمعها في المرة الأولى ، وهي لا تدري بأن صدى كلماتها قد تردد في أذنيه ملايين المرات . وقفت تنتظر ببلاهة أن ينفحها شيئاً من النقود مقابل هذه البشرى العظيمة ؟؟ .. بالكاد استطاع الشاب أن يتماسك بعض الشيء .. حاول أن يجر قدميه فأحس بهما وكأنهما قد دقتا إلى الأرض بأوتاد متينة .
تحركت الأم العجوز بعد أن أفاقت من المفاجأة الرهيبة ، اقتربت من الممرضة ، لم تتفوه بحرف ، استندت عليها .. غابتا داخل الحجرة لبعض الوقت ... لم تلبث العجوز أن كانت تخرج من الحجرة ترافقها فتاة في ميعة الصبا ، أمارات الجمال المميز تبدو جلية واضحة على محياها الجميل رغم ما بها من آلام جسيمة ومعاناة رهيبة ، دل عليها الانتفاخ الواضح في بطنها ، حاولت العجوز والممرضة إسنادها والسير بها .. حاولت الفتاة أن تتكئ على الشاب عندما وصلت نحوه ، أزاحها عنه بشيء من الجفاء والغلظة .. ابتعد الأب

العجوز عن الفتاة حتى لا تحاول الاتكاء عليه لمساعدتها ؟! .. ولم يلبث أن سار الجميع في موكب أشبه ما يكون بالموكب الجنائزي . وراحت الأفكار تتسارع في ذهن الشاب بشكل متسارع مخيف .

لقد تردد في الحيّ بأن شقيقته قد اقترفت إثماً رهيباً ؟ .. وبأنها أصبحت خاطئة بعد أن ارتكبت الفاحشة مع شاب لا يعرفه أحد ، وحسب رأيهم ؛ فليس هناك من دليل أصدق من هذا البطن المنتفخ الذي تحمله الفتاة رمزاً لخطيئتها البشعة .. تردد ذلك على ألسنة جميع سكان الحيّ .. حتى وصل في النهاية إلى آذان أهل البيت . لقد علمت الأم بذلك .. والأب أيضاً .. وشقيقها الشاب .. علموا بتلك الأحاديث التي يتداولها الجميع ، فأصابتهم صاعقة المصيبة والعار ، وحل بهم الأرق والسهاد . فكر الجميع كثيراً بمخرج لتلك المصيبة التي حلت بهم بدون مقدمات وبشكل مفاجئ .

ويبدو بأنهم قد توصلوا إلى الحل النهائي للأمور ، ولكن كان عليهم قبل التنفيذ أن يلجأوا إلى التأكد وبشكل قاطع للأمر رغم أن لديهم البرهان القاطع للأمور .. المتمثل في ذلك البطن المنتفخ ؟؟ .

وها هو التأكيد يأتي قاطعاً من الممرضة ، تبشرهم بالبشرى العظيمة .. وها هي تنتظر منهم هدية البشارة ؟؟!! .. يا لها من ممرضة حمقاء حقاً ، لقد ظنت بأن الشاب هو زوج الفتاة التي ترقد بالداخل لتقوم الطبيبة بالكشف عليها .. وظنت بأنها تزف له البشرى والخبر الذي تتوقف عليه سعادته إلى الأبد ؟ .. وهي لا تدري بأنها تزف له الخبر الذي يتوقف عليه تنفيذ حكم الإعدام بالفتاة .

ووصلوا .. وصلوا إلى المنزل .. وصلوا إلى القرار .. فبعد التأكد من الأمر بشكل قاطع .. لم يتبقَ سوى التنفيذ .

ألقت الفتاة بنفسها على الأرض متهالكة .. تكابد ما بها من آلام وإرهاق ومعاناة ، غادرتها الأم .. وانضمت لزوجها وابنها الذين اجتمعوا بسرية في حجرة مقفلة ليتخذوا القرار النهائي .. بل .. لينفذوه فوراً .

دخل الأب يرافقه ابنه الشاب حيث كانت تجلس الفتاة إلى الأرض منكسة الرأس ؛ تعاني الآلام المبرحة ، تقبض على بطنها بقوة بكلتا يديها وكأنها تحاول تخفيف الألم القاتل الذي كان يعتصرها .. كان الشاب يحمل في يده كوباً به سائل داكن اللون .. شعرت الفتاة بالقادمين ، رفعت رأسها قليلاً ... خفضته لشدة ما بها من إعياء وألم .

اقترب منها شقيقها ووالدها ، توقف الشاب للحظات .. لم يلبث أن جلس القرفصاء إلى جانبها .. رفعت رأسها المجهد نحوه ، وقع بصرها على الكوب الذي يحمله بيده المرتعشة ، ظنت بأنه بعض الدواء أو العلاج المسكن للآلام .. شكرت في سرها لأخيها اهتمامه بالأمر ، هتف بها بنبرات مرتعشة وهو يمد يده التي تحمل الكوب نحوها :

- اشربي ..

حاولت الفتاة أن تعدل من جلستها .. اعتدلت قليلاً .. مدت يدها المرتعشة المضطربة نحو الكوب .. تناولته .. انتظرت هنيهة قبل أن تدنيه من فمها .. بينما العيون من حولها تلاحقها وتحدجها بنظرات كالسهام النارية .

لحظات قليلة وكانت اليد تقترب بالكوب من الفم .. واقتربت بما فيه الكفاية .. وقبل أن ترتشف رشفة واحدة تسرب إلى أنفها ورئتيها رائحة نفاذة غريبة .. أبعدت الكوب قليلاً عن فمها .. حاولت أن تضعه جانباً .. صرخ الشاب فيها بنبرات غريبة :

- قلت لك .. اشربي ..

نظرت نحوه بتساؤل عجيب .. هتفت ببلاهة وسذاجة :

- إن لهذا الدواء رائحة غريبة ؟؟!

رد الشاب بصوت متهدج :

- إنه الدواء الذي سيريحك إلى الأبد ... إلى الأبد !!

يبدو بأن الفتاة قد بدأت تتنبه للأمر ، فماذا يعني قول شقيقها هذا ؟؟!! . حاولت أن ترتشف مرة أخرى .. لم تستطع . حاولت أن تنحي الكوب جانباً .. صرخ فيها الشاب بقوة وإصرار :

- اشربي ... اشربي ..

تمتمت الفتاة بضعف ووهن :

- لا أستطيع ... لا أستطيع ..

صرخ الشاب بعصبية واضطراب :

- يجب أن تشربي ... يجب أن ترتاحي إلى الأبد .. يجب أن تموتي ..

كأن الصوت يأتيها من أعماق بئر رهيب .. من داخل القبور . من وراء الجبال .. تمتمت بما يشبه الهمس :

- لا أريد أن أموت .. لا أريد ..

قاطعها الشاب بحدة وانفعال :

- مثلك يجب أن تموت .. لقد جلبت لنا العار .. إنك خاطئة ,, خاطئة ... خاطئة ..

ارتعشت الفتاة .. ارتعدت .. طوحت بيديها في الهواء أمام وجهها وكأنها تحاول أن تطرد أشياء أو أن تبعد كابوساً مخيفاً .. تمتمت بحشرجة وغصة :

- لا .. لست بخاطئة .. أقسم بالله .. هذه هي الحقيقة ..

صرخ الشاب بجنون :

- الحقيقة بأنك يجب أن تموتي .. أن تموتي أيتها الـ (...)

تدخل الأب العجوز مؤيداً :

- حقاً ... يجب أن تموتي .. هيا ... اشربي السم !!
انتفضت كأن أفعى قد لدغتها عند سماعها تلك الكلمة .. تنبهت للحقيقة المرة الأليمة .. إذن .. فهذا السائل الذي يحملونه بيدهم ليس دواء ؟؟ إذن .. هم يريدون قتلها وليس علاجها ؟؟ .
قطع الشاب حبل أفكارها المتلاطمة المضطربة المتلاحقة :
- الخطيئة عقابها الموت .. وأنت خاطئة ..
صرخت الفتاة بما تبقى لها من قوة :
- لست بخاطئة .. أقسم لكم .. أقسم لكم بشرفي ..
صرخ الشاب بشكل هستيري :
- شرفك ؟؟ .. هاها .. هاها .. ويشهد على عفتك وشرفك .. بطنك المنتفخ هذا ؟؟
تألمت الفتاة .. أخذت بالأنين .. تململت .. حشرجت :
- أخي .. صدقني .. إنه ليس ...
قاطعها الشاب محتداً هادراً :
- لا أريد أعذاراً .. لا أريد تبريراً .. فالأمور واضحة جلية .. ولا تحتاج لبرهان .. والطبيبة أكدت ذلك بما لا يقبل مجالاً للشك .. هيا .. اشربي ... اشربي ..
أمسك الشاب بالكوب بيد وبرأسها المرهق باليد الأخرى بقوة محاولاً أن يجعلها ترتشف الشراب القاتل عنوة وقهراً .. أبعدت يديه عنها بقوة غريب.. هتفت بكلمات مضطربة لاهثة :
- أرجوك .. أرجوك يا أخي .. دع عنك هذا .. لا تقتلني .. لا ترتكب إثماً بقتلي .. إذا كان هذا هو قراركم الأخير وحكمكم عليّ .. فدعوني أنفذه بيدي .. لا أريد أن ترتكب جرماً بقتلي تندم عليه طوال حياتك .. سأشرب السم بيدي .. سأموت لأنقذك .. ولكن .. أقسم لكم بالله العظيم بأنني بريئة .. أقسم لك يا أخي بذلك .. أقسم لك يا أبي .. أقسم لكم جميعاً بالله العظيم بأنني بريئة .. بريئة ... بريئة ..
تناولت الكوب بسرعة خاطفة .. سكبت ما فيه في جوفها دفعة واحدة .. سقطت على الأرض تتلوى بشدة .. وبعد لحظات سكنت .. وأطبق على المكان صمت رهيب ... وسكون مخيف .
لم يبدد السكون والصمت المطبق سوى صوت طرقات متتالية على الباب الخارجي الموصد .. سارعت الأم لفتح الباب والجميع من خلفها .. دخلت الطبيبة المنزل بخطواتها الهادئة المتزنة .. هتفت بهدوء والابتسامة لا تفارق وجهها :
- عفواً أيها السادة .. فيبدو بأن هناك خطأً بسيطاً قد ارتكبته الممرضة عن غير قصد ؟؟ .. إذ أنها أعلمتكم بأن ابنتكم حامل .. وحقيقة الأمر بأنني كنت أفحص امرأة أخرى في

الداخل .. وكان زوجها وذويها في غاية الشوق لسماع نبأ حمل المرأة .. ويبدو بأن لهفة الممرضة وتعجلها قد جعلاها تخطئ بعض الشيء ؟؟ .. إذ اعتقدت بأنكم أهل المرأة الأخرى الحامل ؟؟ ..

أوه .. لقد كدت أن أنسى .. فإن هناك أمراً بسيطاً آخر يجب أن أعلمكم به ... عليكم أن تتوجهوا حالاً بابنتكم إلى المستشفى لإجراء عملية جراحية عاجلة لها .. لأنها تعاني بشدة من أورام خبيثة رهيبة ومستفحلة في بطنها ؟؟ .. هذا هو الأمر ببساطة أيها السادة ؟؟!! .